معاني الأذكار

سلطانه القديم

آمن روعاتي

خفيفتان على اللسان

سبق المفردون

من تعار من الليل

أبوء لك بنعمتك علي

خواتيم عملك

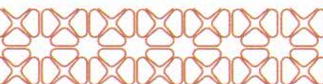
الوسيلة والفضيلة

غلبة الرجال











معاني الأذكار

ذِكْرُ اللهِ نُورُ القلبِ وهدايتُه، بل هو رُوحُه وحياتُه، فالقلب الذاكر قلبٌ حيٌّ، والقلب الغافل عن الذكر قلبٌ ميت، ومَنْ لَهِجَ لسانُه بالذكر واستنار قلبُه به: هُدِيَ إلى صراط مستقيم، وذُكِرَ اسمُه في الملأ الأعلى، وعاش في الدنيا حياةً طيبة، وحُشِر في الآخرة مع المُكرمين.

ولكنْ، لا يستقيم حالُ الذاكر، ويكْمُل فضلُه إلا بمعرفة معاني الأذكار، فيطيب فَمُه بذكر الله، ويرتوي قلبُه وسائرُ أعضائه بفواضلِ المعاني، ومحاسنِ الصفات، فلا أحدَ هو أهنأ بالحياة الدنيا من مؤمن يذكر اللهَ لسانُه، ويفقه عن الله ورسولِه قلبُه.

وفي هذا الكتاب نتعرض لبعض معاني الأذكار المطلقة والمقيَّدة، مستمدين العونَ من الله تعالى في استظهارها، والتماسِ مقاصدها ومَراميها، ليكملَ للذاكر أجرُه، وينحطَّ عنه بنعمة الله وِزْرُه؛ فإن الذِّكر يرفع للذاكر شأنَه، ويضع عنه ما يُشينُه.



المملكة العربية السعودية
الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥
جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢
ص.ب ١٢٦٢٧١ جدة ٢١٣٥٢

خصم خاص للتوزيع الخيري: ٠٥٠٤٤٤٦٤٣٢

ISBN 978-603-8047-44-6



معاني الأذكار

محمد صالح المنجد

ساهم في إعداد هذا الكتاب
الفريق العلمي في مجموعة زاد
بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد، محمد صالح

معاني الأذكار. / محمد صالح المنجد. - الرياض، ١٤٣٥هـ

٢٤ص، ١٤×٢١سم

ردمك: ٦-٤٤-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١. الأدعية والأذكار ٢. الصلاة أ. العنوان

ديوي: ٢١٢,٩٣ ١٤٣٥/٦٦٢٤

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٦٦٢٤

ردمك: ٦-٤٤-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

الناشر



المملكة العربية السعودية

الخبر - هاتف: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هاتف: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

امتياز التوزيع



المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية

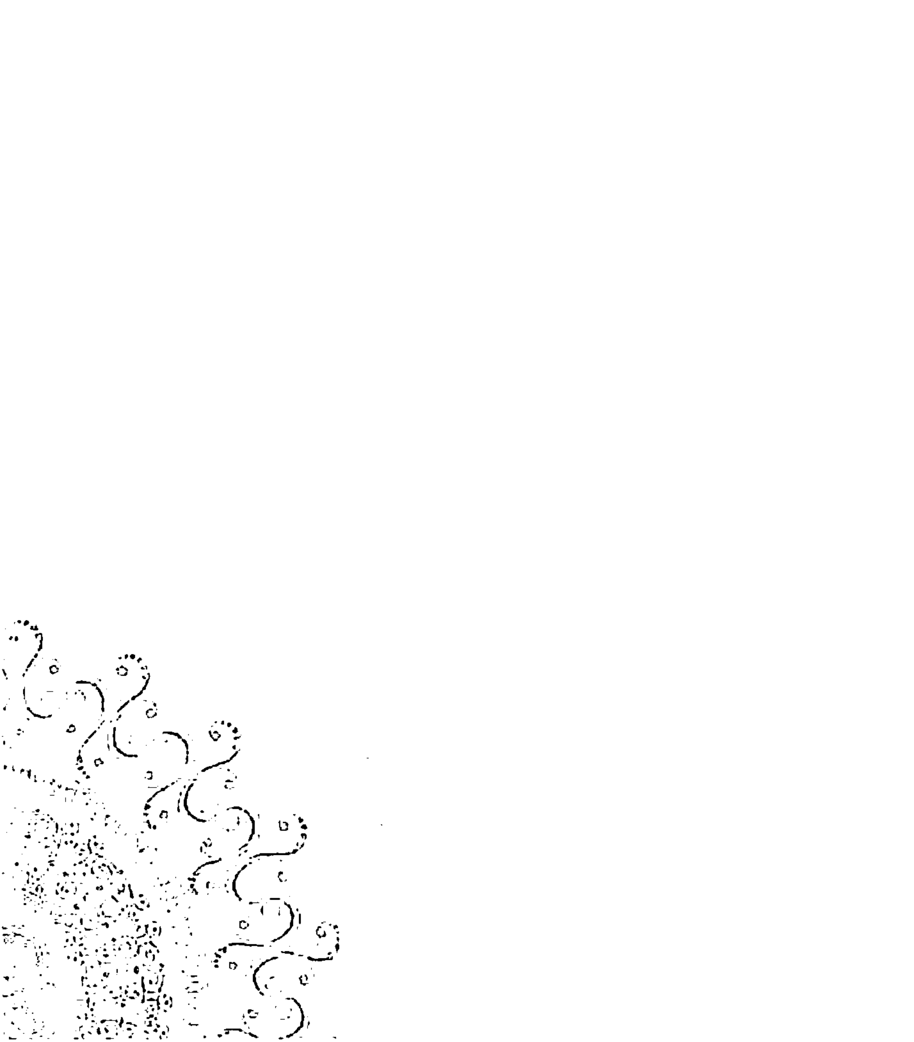
طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ - فاكس: ٤٨٨٩٠٢٣

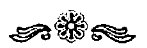
هاتف مجاني: ٩٢٠٠٢٠٢٠٧

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥





المحتويات



مُقـدَمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

فهـذا مختـصرٌ خفيـف، ومُقتَطَـفٌ لطيـف، في معـاني الأذكار الشرعيـة، المُجتَبـاة من الأحاديـث النبوية؛ ليقـفَ الذاكرُ به على مَعرفـة مـا يَلهَج به لسـانه، فيُصقَل بالذكر قلبُـه وجَنانُه؛ حيث لا شيءَ أنفع لقلب العبد، ولا أنجَى له مِن عذاب الله مِن ذِكرِ الله.

ولا يحسـنُ بالذّاكـر أن يَغفُـلَ قلبُه عن معاني مـا يَلهج به؛ فإن الذكـرَ موضوعٌ لصرف الغفلـة، مشروعٌ لحياة القلـب، فإذا غفل القلبُ عما جُعل لحياته وعَلاه الرَّينُ قَسـا ومَرِضَ وتواردت عليه الآفاتُ والعِلل.

فلما كانت الغفلةُ التي تعتري القلبَ فتُذهله عن معاني ما يجري به لسانُه آفةً من آفاته، وعلةً توجب سَقَمَه ومرضه، نَشطنا لوضعِ هذا المُختصر؛ تنبيهاً على هـذا الأصلِ، وتذكيراً لنا ولإخواننا بما ينبغي أن نتحلى به إذا قَعدنا نذكرُ الله.

فـإذا ذَكـر العبـدُ ربـهُ بلسـانه، وعَقَل قلبُـه عن الله ورسـوله، ونَشطت الجوارحُ لِما شُرِع لها من العملِ الصالحِ - صار البدنُ كلُّه ذاكـراً لله، بالقول والاعتقـاد والعمل، ومَن جَمَعَ بـين ذلك وثَبَتَ عَليه فهو مِن أهلِ ذِكرِ الله حَقّاً.



أهمية الذكر ومنزلته:

إنّ من أعظم ما تَحيا به الروح وتسعدُ: ذِكرَ خالِقِها العليِّ الأعلَى، فهو مِعراجُها الذي فيه تَترقّى، وزِينتُها التي بها تتحلّى، وعُدّتُها التي بها تتقوى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

إن ذكر الله عز وجل هو الدواء الذي يُطهر القلب، والنعمةُ العظمى، والمنحةُ الكبرى، به تُستدفع النقم، وتُجلب النعم، وتُنال أعلى الدرجات، إنه قُوت القلوب، وقُرة العيون، وحياةُ الروح، وروح الحياة.

متى فارق القلوب صارت الأجساد لها قبوراً، وهو السلاح الذي يقاتَل به قطّاع الطريق، والماء الذي يُطفأ به التهاب الحريق، والقُوت الذي تَحيا به القلوب، والسبب الواصل بين المؤمنين وعلامِ الغيوب، به يَستدفعون الآفات، ويستكشفون

الكُربات، وتَهون عليهم المصيبات، إذا أظلّهمُ البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعُهم، وهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يَتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويُوصل الذاكر إلى المذكور ويجعله ذاكراً مذكوراً، ويرفع درجته ويجعله مشكورا مأجوراً[1].

والذكر يُطهّر القلب، ويُصفي النفس، ويرفع الدرجات، ويُنجي من عذاب الله، ولا شيء هو أنفع لقلب العبد من ذكر الله.

قال أبو بكر ﷺ: «ذهب الذاكرون بالخير كله».

وقال معاذُ بنُ جبلٍ ﷺ: «ما شيءٌ أنجى من عذابِ اللهِ من ذكرِ اللهِ».

وقال أبو الدرداء ﷺ: «لكل شيء جَلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل».

وقال كعب بن مالك ﷺ: «مَن أكثرَ ذكر الله بريء من النفاق».

وقال عبيد بن عمير: إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه، وبخِلتم على المال أن تنفقوه، وجَبُنتم عن العدو أن تقاتلوه: فأكثروا من ذكر الله عز وجل.

وقال مكحول: ذِكرُ الله تعالى شفاء، وذكرُ الناس داء.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٢٣).

ولما شكا رجل إلى الحسن البصري قسوةً في قلبه، قال له: «أذبه بذكر الله»[١].

وربما يأتي العبد يوم القيامة بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله تعالى وما اتصل به[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الذكرُ للقلب مثلُ الماءِ للسمك، فكيف يكون حالُ السمك إذا فارق الماء؟»[٣].



(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٧١٨٠).

(٢) الجواب الكافي (ص١٦١).

(٣) الوابل الصيب (ص٤٢).

ذكر الله ليس له حدٌ محدود:

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضةً إلا جعل لها حدّاً معلوماً ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على تركه فقال: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ [النساء: ١٠٣]، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال»[1].

فالذكر هو العبادة المطلوبة بلا حدّ تنتهي إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وبلا وقت تختصّ به ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

وبلا حال تستثنى منه ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٦).

وبالثناءُ الجميل على الذّاكرين اللهَ كثيراً والذاكرات، خُتمت صفات المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

قال ابن عباس: «يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدوّاً وعشيّاً، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكرَ الله تعالى»[1].



(١) الأذكار للنووي (ص١٠).

متى يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً؟

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «إذا أيقظَ الرّجلُ أهلهُ منَ اللّيلِ فصلّيا -أو صلّى- ركعتينِ جميعاً كتبا في الذّاكرينَ الله كثيراً والذّاكراتِ»[1].

وسئل أبو عمرو بن الصَّلاح -رحمه الله- عن القَدر الذي يصيرُ به العبد من الذاكرينَ الله كثيراً والذاكرات، فقال: «إذا واظبَ على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً، كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[2].

---

(١) رواه أبو داود (١٣٠٩) وابن ماجة (١٣٣٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود وغيره.

(٢) الأذكار للنووي (ص١١).

أهل الذكر أسبق:

الذكر أكبر، وأجره أعظم، وأهله أسبق؛ كما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سبقَ المفرّدونَ»، قالوا: وما المفرّدونَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الذّاكرونَ اللهَ كثيراً والذّاكراتُ»[1].

فالمقصود بـ«المفرّدون» في الحديث: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات؛ كما فسره رسول الله ﷺ، وهم المُولَعون بالذكر المتفرّغون له.

يقالُ: فردَ برأيِهِ وأفردَ وفرّدَ بمعنى انفردَ بِهِ.

وقيلَ: فرّدَ الرجلُ إذا تفقّه واعتزل النّاسَ، وخلا بمراعاة الأمر والنهي[2].

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: «والأظهرُ أنَّ المرادَ بالانفرادِ الانفرادُ بهذا العملِ، وهوَ كثرةُ الذّكرِ، دونَ الانفرادِ الحسّيِّ، إمّا عنِ القرنِ أو عنِ المخالطةِ»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) انظر: النهاية (٣/ ٤٢٥).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥١٢).

أهل الذكر أرفع:

إن أهـل الذكـر ليسـوا سـابقين للبـشر فحسـب، بـل هـم في مقـام المباهـاة والمضاهاة للملائكة الكرام؛ فـإن أهل الذكر من المؤمنـين في مكانة رفيعة عاليـة، حتى لقد باهى الله بهم ملائكته، قال ابن القيم -رحمه الله-: «ويكفي في شرفِ الذّكرِ: أنَّ اللهَ يباهي ملائكتهُ بأهلهِ؛ كما في صحيحِ مسلمٍ[1] عن معاويةَ ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ على حلقةٍ من أصحابهِ فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسـنا نذكـرُ اللهَ ونحمدهُ على ما هدانا للإسـلامِ ومـنَّ بهِ علينا. قال: «آللهِ ما أجلسـكم إلّا ذلكَ؟» قالوا: آللهِ ما أجلسـنا إلّا ذلكَ. قال: «أما إنّي لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكن أتاني جبريلُ فأخبرني: أنَّ اللهَ يباهي بكمُ الملائكةَ»[2].

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٠١).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٠٠).

صلة الذكر بالعبادات أوثق:

إن الذكر لُبّ الطاعات، وجَوهر العبادات، وهو أساس كثير من الفرائض والشعائر الظاهرة؛ إنه يكون قبلها تهيئة لأدائها، ويكون معها كجزء من أعمالها وأركانها، ويكون بعد الفراغ منها ختاماً لها.

فالصلاة مثلاً يسبقها الذكرُ بالنداء وترديده، وذكر المضي إلى المسجد، وذكر دخول المسجد؛ وذلك لتكون مع الله، وتتهيأ للدخول عليه في الصلاة.

وكذا في الصيام؛ فإن الله يقول: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والحج مبدأه ذكرُ الله وإعلان التوحيد، والاستجابةُ لرب الأرض والسماوات، والطواف والسعي ذكر وتكبير وتهليل، ورمي الجمار إنما شُرع لإقامة ذكر الله عز وجل، وختام الحج وصية بالذكر: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وفي الجهاد أمر بالذكر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] .

الذكر طمأنينة وسكينة:

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، فهذا إخبارٌ من الله عن المؤمنين بأنهم تطمئن قلوبهم بذكره «أي يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها، وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذّ للقلوب ولا أحلى، من محبة خالقها والأُنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له»[١].

فـ(الطّمأنينةُ سكونُ القلبِ إلى الشّيءِ، وعدمُ اضطرابهِ وقلقهِ. ومنهُ الأثرُ المعروفُ «الصّدقُ طمأنينةٌ، والكذبُ ريبةٌ»[٢] أي الصّدقُ يطمئنُّ إليهِ قلبُ السّامعِ، ويجدُ عندهُ سكوناً إليهِ. والكذبُ يوجبُ لهُ اضطراباً وارتياباً، ومنهُ قولهُ ﷺ: «البرُّ ما اطمأنَّ إليهِ القلبُ»[٣] أي سكنَ إليهِ وزالَ عنهُ اضطرابهُ وقلقهُ)[٤].

(١) تفسير السعدي (ص٤١٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٨) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما مرفوعاً، وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (١٧٢٨٨) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٩٤٨٠).

وعن أبي هريرةَ وأبي سـعيدٍ الخدريِّ أنّهما شـهدا على النّبيِّ ﷺ أنّـهُ قال: «لا يقعدُ قومٌ يذكـرونَ اللهَ عزَّ وجلَّ إلّا حفّتهم الملائكةُ وغشـيتهم الرّحمـةُ ونزلـت عليهـم السّـكينةُ وذكرهـم الله فيمـن عندهُ»[1].



(١) رواه مسلم (٢٧٠٠).

الذكر بركة ونعمة:

يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وروى مسلم (٢٧٣٤) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليرضى عن العبدِ أن يأكلَ الأكلةَ فيحمدهُ عليها، أو يشربَ الشّربةَ فيحمدهُ عليها**».

إن هذا مع كل طعام يأكله أو شراب يشربه، يذكر مَن رَزقه وأطعمه وسقاه؛ فيلهَج له بالحمد والشكر، مستحضراً عظمة المنعم سبحانه.

والبركة حاصلة بالذكر بمنع ما يمحقها، والسلامة من تسلط الشيطان، ومشاركته للمرء في طعامه وشرابه؛ فعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ أنّهُ سمعَ النّبيَّ ﷺ يقولُ: «**إذا دخلَ الرّجلُ بيتهُ فذكرَ اللهَ عندَ دخولهِ وعندَ طعامهِ قال الشّيطانُ لا مبيتَ لكم ولا عشاءَ، وإذا دخلَ فلم يذكر اللهَ عندَ دخولهِ قال الشّيطانُ أدركتم المبيتَ، وإذا لم يذكر اللهَ عندَ طعامهِ قال أدركتم المبيتَ والعشاءَ**»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٠١٨).

إنه وصية رسول الله ﷺ لمن كثرت عليه شرائع الإسلام:

فعن عبدِ اللهِ بنِ بسرٍ رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثرت عليَّ فأخبرني بشيءٍ أتشبّثُ بهِ. قال: «لا يزالُ لسانكَ رطباً من ذكرِ اللهِ»[1].

قال الطِّيبي: «رطوبةُ اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يُبسه عبارة عن ضدّه، ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن مداومة الذكر»[2].



(١) رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وصححه الألباني.

(٢) دليل الفالحين (٧/ ٢٣٧).

الذكر حياة القلب:

ففي صحيح البخاري (٦٤٠٧) عن أبي موسى ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «مثلُ الّذي يذكرُ ربَّهُ والّذي لا يذكرُ ربّهُ مثلُ الحيِّ والميّتِ» ورواه مسلم (٧٧٩) ولفظه: «مثلُ البيتِ الّذي يذكرُ الله فيهِ والبيتِ الّذي لا يذكرُ الله فيهِ مثلُ الحيِّ والميّتِ».

وإذا كان القلب حياً، كان عامراً بالإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر:٢٣].

ومن قسا قلبه من ذكر الله مات قلبه، فويل له؛ ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٢]، وجاء رجل للحسن يشكو إليه قسوة قلبه فقال: «أذبه بالذكر»، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة، اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله ذابت تلك القسوة[1].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «ولا ريب أن القلب يصدأ كما

(١) الوابل الصيب (ص٧١).

يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر؛ فإنه يَجلوه حتى يَدعه كالمرآة البيضاء، فإذا تُرك صدئ.

وصَدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر.

فمن كانت الغفلة أغلبَ أوقاته كان الصّدَأُ متراكباً على قلبه، وصدؤه بحَسب غفلته»[1].



(١) الوابل الصيب (ص٤٠).

الذكر أجور بلا حدود:

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، وقال في تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[1].

وهذا يعني أن الذكر يمحو الله به الذنوب ويُذهبها عن صاحبها وإن كانت مثل زبد البحر.

وزبدُ البحرِ: هوَ ما يعلو على وجههِ عندَ هيجانهِ وتموّجهِ[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»[3].

قيلَ: يحتملُ أن يكونَ المرادُ أنَّ هذهِ الكلماتِ أحبُّ إليَّ من أن

(١) رواه مسلم (٥٩٧).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ٥٤).

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٥).

يكـونَ لي الدّنيا فأتصدّقَ بها، والحاصـلُ أنَّ الثّوابَ المترتّبَ على قولِ هذا الكلامِ أكثرُ من ثوابِ من تصدّقَ بجميعِ الدّنيا[1].



(١) تحفة الأحوذي (١٠/ ٤٠).

الذكر سلامة وحفظ:

عن عبدِ اللهِ بنِ خبيبٍ ﷺ قال: خرجنا في ليلةِ مطرٍ وظلمةٍ شديدةٍ نطلبُ رسولَ اللهِ ﷺ ليصلّيَ لنا فأدركناهُ فقال: أصلّيتم؟ فلم أقل شيئاً، فقال قل. فلم أقل شيئاً، ثمَّ قال قل. فلم أقل شيئاً، ثمَّ قال قل. فقلتُ يا رسولَ اللهِ ما أقولُ؟ قال «قل: قل هوَ اللهُ أحدٌ والمعوّذتينِ حينَ تمسي وحينَ تصبحُ ثلاثَ مرّاتٍ تكفيكَ من كلِّ شيءٍ»[1].

قال الطّيبيُّ: أي تدفعُ عنكَ كلَّ سوءٍ. ويحتملُ أن يكونَ المعنى: تغنيكَ عمّا سواها[2].

وعن عثمانَ بن عفّانَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما من عبدٍ يقولُ في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ: بسمِ اللهِ الّذي لا يضرُّ معَ اسمهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ وهوَ السّميعُ العليمُ ثلاثَ مرّاتٍ لم يضرّهُ شيءٌ»[3].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) والنسائي (٥٤٢٨) وحسنه الألباني.

(٢) مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٩).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٨٨) وصححه، وابن ماجة (٣٨٦٩) وصححه الألباني.

فبالذكـر يَحفـظ الله عبده من كل سـوء؛ فيحفظ عليـه قلبه من تسلل الشياطين إليه، ويحفظ عليه نفسه وبدنه من نوازل الضّرّ.



علامةُ حبِ الله كثرةُ ذكرِه:

قال الرّبيعُ بنُ أنسٍ عن بعضِ أصحابِهِ: علامةُ حبِّ اللهِ كثرةُ ذكرِهِ، فإنّكَ لن تحبَّ شيئاً إلّا أكثرتَ ذكرهُ. وقال فتحٌ الموصليُّ: المحبُّ للهِ لا يغفلُ عن ذكرِ اللهِ طرفةَ عينٍ، وقال غيره: منِ اشتغلَ قلبهُ ولسانهُ بالذّكرِ، قذفَ الله في قلبهِ نورَ الاشتياقِ إليهِ. وقال إبراهيمُ بنُ الجنيدِ: كانَ يقالُ: من علامةِ المحبِّ للهِ دوامُ الذّكرِ بالقلبِ واللّسانِ، وقلّما ولعَ المرءُ بذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ إلّا أفادَ منهُ حبَّ اللهِ.

وكانَ بعضُ السّلفِ يقولُ في مناجاتِهِ: إذا سئمَ البطّالونَ من بطالتهم، فلن يسأمَ محبّوكَ من مناجاتكَ وذكركَ. وقال أبو جعفرٍ المحوّليُّ: المحبُّ للهِ لا يخلو قلبهُ من ذكرِ ربّهِ، ولا يسأمُ من طاعته[1].



(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥١٦).

الذكر عبودية وإعانة:

لما سـألت فاطمة ﵂ أباها ﷺ خادماً، واشتكت إليه ما تعانيه مـن أعمال البيت، قـال لها ولزوجها عـلي ﵁: «ألا أدلُّكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا آويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً ثلاثين، واحمـدا ثلاثـاً وثلاثين، وكـبرا أربعـاً وثلاثين؛ فإنه خـير لكما من خادم»[1].

قـال ابن القيم -رحمه الله-: «الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنـه ليفعـل مع الذكر ما لم يظـن فعله بدونه، وقد شـاهدت من قوة شـيخ الإسـلام ابن تيمية في سَـنَنه وكلامـه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعـة وأكثر، وقد شـاهد العسـكر مـن قوته في الحـرب أمراً عظيماً، وقد علّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعلياً ﵄ أن يسـبحا كل ليلـة إذا أخذا مضاجعهـما ثلاثاً وثلاثين ويحمـدا ثلاثاً وثلاثين ويكـبرا أربعاً وثلاثين لما سـألته الخادم وشـكت إليه ما تقاسـيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلّمها ذلك وقال: إنه خير لكما

(١) متفق عليه.

مـن خادم. فقيل إن من داوم على ذلـك وجد قوة في يومه تغنيه عن خادم»[1].



(١) الوابل الصيب (ص٧٧).

قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾:

فَذِكرُ الله أكبرُ من كل شيء، ومن كل عمل، وأجره فوق كل أجر، فهو ليس كبيراً فحسب، بل هو أكبر.

وقد ذكر العلماء والمفسرون عدة معانٍ جديرة بالاهتمام توضح كون الذكر أكبر، فمن ذلك:

- أن ذِكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل العبادات.
- أن المعنى أنكم إذا ذكرتموه ذَكَركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له.
- أن ذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تم الذكر محق كل خطيئة ومعصية.

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «وسمعتُ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميّةَ رحمهُ الله يقولُ: معنى الآيةِ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أنَّ في الصّلاةِ فائدتينِ عظيمتينِ إحداهما: نهيها عنِ الفحشاءِ والمنكرِ، والثّانيةُ: اشتمالها على ذكرِ اللهِ وتضمّنها لهُ، ولما تضمّنتهُ من ذكرِ اللهِ أعظمُ من نهيها عنِ الفحشاءِ والمنكر»[1].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٩٨).

الذكر خير الأعمال وأزكاها عند الله:

عن أبي الدّرداءِ ﷺ قال: قال النّبيُّ ﷺ «ألا أنبّئكم بخيرِ أعمالكم وأزكاها عندَ مليككم وأرفعها في درجاتكم وخيرٌ لكم من إنفاقِ الذّهبِ والورقِ وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا بلى. قال: «ذكرُ اللهِ تعالى»[1].

فانظر إلى هذه المقارنة الملموسة بأعمال معروفة بعظمتها وكثرة أجرها، وقد جعل الذكر أكثر منها أجراً فقال: (وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم) فقارن الذكر وأجره بالإنفاق المالي، وهو عبادة متعدية النفع عظيمة الأجر لاحتياجها إلى مجاهدة النفس، ومغالبة شحها وشهوتها في التملك والاستزادة، وكذلك قارن الذكر بالجهاد العملي الذي تبذل فيه المهج والأرواح، فكان الذكر أرفعَ شأناً، وأعظم أجراً.

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٧) وصححه الألباني.

٥ إشكال وحلّه:

كيف يكون الذكر أفضل من الجهاد؟!

قال الحافظ: «وقد أشرت إليهِ مستشكلاً في أوائل الجهاد معَ ما وردَ في فضل المجاهد أنّهُ كالصّائمِ لا يفطر وكالقائمِ لا يفتر وغير ذلكَ ممّا يدلّ على أفضليّته على غيره من الأعمال الصّالحة، وطريق الجمع -واللهّ أعلم- أنَّ المراد بذكرِ الله في حديث أبي الدّرداء: الذّكر الكامل وهوَ ما يجتمع فيهِ ذكر اللّسان والقلب بالتّفكّرِ في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى وأنَّ الّذي يحصل لهُ ذلكَ يكون أفضل ممّن يقاتل الكفّار مثلاً من غير استحضار لذلكَ.

وأنَّ أفضليّة الجهاد إنّما هيَ بالنّسبةِ إلى ذكر اللّسان المجرّد، فمن اتّفقَ لهُ أنّهُ جمعَ ذلكَ كمن يذكر الله بلسانهِ وقلبه واستحضاره، وكلّ ذلكَ حال صلاته أو في صيامه أو تصدّقه أو قتاله الكفّار مثلاً فهوَ الّذي بلغَ الغاية القصوى، والعلم عند الله تعالى.

وأجابَ القاضي أبو بكر بن العربيّ بأنّهُ ما من عمل صالح إلّا والذّكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله بقلبِهِ عند صدقته أو صيامه مثلاً فليسَ عمله كاملاً، فصارَ الذّكر أفضل الأعمال من هذهِ الحيثيّة»[1].



(١) فتح الباري (١١/ ٢١٠).

الذكر عند المرور ببيوت الله أو حلق الذكر:

روى أحمد (١٢١١٤) والترمذي (٣٥١٠) عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «**إذا مررتم برياضِ الجنّةِ فارتعوا**». قالوا وما رياضُ الجنّةِ؟ قال: «**حلقُ الذّكرِ**»[١].

وعند الترمذي (٣٥٠٩) بسند فيه ضعف عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا مررتم برياضِ الجنّةِ فارتعوا**» قلتُ: يا رسولَ اللهِ وما رياضُ الجنّةِ؟ قال: «**المساجدُ**» قلتُ: وما الرّتعُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا الله والله أكبرُ**».

الرّياضُ جمعُ الرّوضةِ وهيَ أرضٌ مخضرّةٌ بأنواعِ النّباتِ.

والرتع هو التوسع في الأكل والشرب والمُستلذات، كما هو عادة الناس إذا خرجوا إلى الرياض.

ولا تنافي بينَ قوله (حلقُ الذّكرِ) وبين قوله (المساجدُ) -لو صح-؛ لأنَّ حلقَ الذّكرِ تصدقُ بالمساجدِ وغيرها فهيَ أعمُّ، وخصّت المساجدُ هنا لأنّها أفضلُ، ولأنها بيوت الذكر أصلاً.

---

(١) حسنه الألباني في الصحيحة (٢٥٦٢).

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾:

وأعظم مِن كل ما ذُكر ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فأمر تعالى المؤمنين بذكره، ووعد عليه أفضل الجزاء، وهو الثناء في الملأ الأعلى على مَن ذكره فأيّ شرف أعظم، وأيّ فخر أكبر من أن يذكرك رب العالمين؟ وفي الحديث الإلهي عن أبي هريرةَ ﷺ أنه قال: قال النبيُّ ﷺ: يقولُ الله تعالى: «أنا عندَ ظنِّ عبدي بي وأنا معهُ إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسهِ ذكرتهُ في نفسي وإن ذكرني في ملإٍ ذكرتهُ في ملإٍ خيرٍ منهم، وإن تقرّبَ إليّ بشبرٍ تقرّبتُ إليهِ ذراعاً، وإن تقرّبَ إليّ ذراعاً تقرّبتُ إليهِ باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتهُ هرولةً» (متفق عليه).

فلو لم يكن لذكرِ الله تعالى إلا هذا الفضل لكفَى به شرفاً وفضلاً.

وليس الشأن أن يذكر الفقير الغني، ولا الضعيف القوي، وإنما الشأن أن يذكر الغني الفقير، والقوي الضعيف.

وإذا ذكر الربُّ الغنيُّ الكريمُ العبدَ الفقيرَ كان ذِكره له علامةً على وَصله ببرّه وكرمه، فما ظنُّك بأكرم الأكرمين وأجود الأجودِين إذا ذكر عبده الذاكر ورضي عنه؟

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «وسألتُ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميّةَ -رحمهُ الله- يوماً فقلتُ لهُ: إذا كانَ الرّبُّ سبحانهُ يرضى

بطاعـةِ العبـدِ ويفـرحُ بتوبتهِ ويغضـبُ من مخالفتهِ، فهـل يجوزُ أن يؤثّرَ المحدثُ في القديمِ حبّاً وبغضاً وفرحاً وغيرَ ذلكَ؟ فقال لي: الرّبُّ سبحانهُ هوَ الّذي خلقَ أسبابَ الرّضا والغضبِ والفرحِ، وإنّما كانت بمشيئتهِ وخلقهِ، فلم يكن ذلكَ التّأثّرُ من غيرِهِ، بل من نفسِهِ بنفسهِ، والممتنعُ أن يؤثّرَ غيرهُ فيهِ فهذا محالٌ، وأمّا أن يخلقَ هوَ أسباباً ويشاءها ويقدّرها تقتضي رضاهُ ومحبّتهُ وفرحهُ وغضبهُ: فهذا ليسَ بمحالٍ، فإنَّ ذلكَ منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ»[1].



---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٠٥).

يا حسرةً على أهل الغفلات!

فالغفلة إذاً عن ذكر الله عز وجل خسارة عظيمة، مع ما يوجبه ذلك من الحسرة، وما يؤدي إليه من قسوة القلب.

عن أبي هريرةَ ﷺ عن النّبيِّ ﷺ قال: «ما جلسَ قومٌ مجلساً لم يذكروا اللهَ فيهِ ولم يصلّوا على نبيّهم إلّا كانَ عليهم ترةً فإن شاءَ عذّبهم وإن شاءَ غفرَ لهم»[1].

وقال الترمذي عقبه: «ومعنى قولهِ ترةً: يعني حسرةً وندامةً».

وقوله: «فإن شاءَ عذّبهم» أي: بذنوبهمُ السّابقةِ وتقصيراتهمُ اللّاحقةِ. وقال الطّيبيُّ -رحمهُ الله-: قولهُ: «فإن شاءَ عذّبهم» من بابِ التّشديدِ والتّغليظِ، ويحتملُ أن يصدرَ من أهلِ المجلسِ ما يوجبُ العقوبةَ من حصائدِ ألسنتهم[2].

ذلك أن أهل المجلس إذا غفلوا عن الذكر كان ذلك أدعى بهم أن يقعوا بألسنتهم فيما يستوجب لهم العقوبة؛ وبذلك تتمّ عليهم الحسرة.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٠) وصححه، وصححه الألباني.

(٢) مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٧).

فمِـن فضائـل الذكـر حفظ اللسـان مـن الوقـوع في المهالك المرديـة، وقـد قـال النبـي ﷺ: «وهل يكـبُّ النّـاسَ في النّارِ على وجوههم أو على مناخرهم إلّا حصائدُ ألسنتهم؟»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٤١) وصححه الألباني في الصحيحة (١١٢٢).

فوائد الذكر:

للذكـر فوائـد كثيرة تعود على الذاكر بالخـير والفضل في الدنيا والآخرة، منها:

- أنه يَطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.
- أنه يُرضي الرحمن عز وجل.
- أنه يُزيل الهمّ والغم عن القلب.
- أنه يَجلب للقلب الفرحَ والسرور والبَسط.
- أنه يُفرح القلب ويقويه.
- أنه يَنوّر الوجه والقلب.
- أنه يَجلب الرزق.
- أنه يَكسو الذاكرَ المهابةَ والحلاوة والنضرة.
- أنه يورثه المحبةَ التي هي روح الإسلام.
- أنه يورثه المراقبةَ حتى يُدخله في باب الإحسان.
- أنه يورثه الإنابةَ، وهي الرجوع إلى الله عز وجل
- أنه يورثه الهيبةَ لربه عز وجل وإجلاله.

- أنه يورثه جلاءَ القلب من صدئه.
- أنه يحط الخطايا ويُذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.
- أنه يزيل الوحشةَ بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى.
- أنه جلاَّبٌ للنعم، دافعٌ للنقم، فما استُجلبت نعم الله عز وجل، ولا استُدفعت نقمه بمثله.
- أنه نجاةٌ من الشدائد.
- أنه أمانٌ من الحسرة يوم الحسرة.
- أنه أيسرُ العبادات، وهو من أجلِّها وأفضلها.
- أن العطاء والفضل الذي رُتِّب عليه لم يُرتَّب على غيره من الأعمال مثله.
- أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمانَ من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد.
- أنه ليس في الأعمال شيء يعم الأوقاتَ والأحوال مثله.
- أن في القلب خلة وَفاقة لا يَسدها شيء البتة إلا ذكرُ الله عز وجل.
- أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه[1].

(١) انظر: الوابل الصيب (ص٤١٨٢).

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-:

فذِكرُ إلـهِ العـرش سراً ومعلِنـاً
يُزيـل الشـقا والهمَّ عنـك ويَطردُ

ويجلُـبُ للخـيراتِ دنيـا وآجـلا
وإن يأتِك الوَسـواسُ يوما يشرّد

فقد أخبرَ المُختـارُ يوماً لصحبه
بـأنَّ كثـيرَ الذِّكر في السَّـبق مُفرِدُ

ووصَّى معـاذاً يَسـتعين إلهـه
على ذكره والشـكر بالحسن يعبدُ

وأوصى لشخص قد أتى لنصيحة
وقـد كان في حمـل الشرائـع يَجهَد

بـأن لا يـزالَ رطبـاً لسـانُك هذه
تعـين عـلى كل الأمـور وتُسـعِد



مسائل وأحكام في الذكر:

○ معنى الذكر ودلالته:

الذكر: ضد الغفلة والنسيان، والغفلة: ترك الذكر عمداً، وأما النسيان: فتركه عن غير عمد.

ولـذا فالغفلـة مذكـورة في القـرآن الكريـم في معـرض النهي والتحذيـر؛ كـما في قولـه تعـالى ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

بينما النسيان ليس كذلك لعدم صدوره عن قصد، ومن هنا جاء التوجيـه القرآني العظيـم ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهـف: ٢٤]، قال ابن القيم -رحمه الله-: «الفرقُ بينَ الغفلةِ والنّسيانِ: أنَّ الغفلةَ تركٌ باختيارِ الغافلِ، والنّسيانَ تركٌ بغيرِ اختيارِه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، ولم يقـل: «ولا تكـن مـنَ النّاسينَ»؛ فإنَّ النّسيانَ لا يدخلُ تحتَ التّكليفِ فلا ينهى عنهُ»[1].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٠٥٤٠٦).

- **والذكر يشمل معنيين:**

الأول: معنى التذكّر واستحضار الشيء في الذهن، كقولك: ذكرت حادثة كذا وكذا، إذا استحضرتها في ذهنك، ومرت دقائقها بمخيلتك، وهذا المعنى ضد النسيان.

فأصل الذكر: التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]، أي تذكّروها[1].

والمقصود به تَذكّر الله واستحضار عظمته وخشيته، ومراقبته ونعمته حتى يكون القلب له معظّماً، ومنه خائفاً وله مراقباً، ولنعمته شاكراً.

والثاني: النطق باللسان، وهو استعمالٌ غالب، فإذا قلت: فلان يواظب على الأذكار، أي يتلفظ بها، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١].

فالذكر اللسانيّ هو ثمرة ذكر القلب، وشاهد عليه، ومترجم عنه، فمن عظّم الله في قلبه سبّح وهلّل وكبّر بلسانه، ومن خافه تضرع ودعا (وسُمي القول باللسان ذكراً؛ لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه قد كثر اسم الذكر على القول اللساني حتى صار هو السابق إلى الفهم)[2].

(١) المفهم (٦/٧).
(٢) المفهم (٦/٧).

• الذكر شرعاً له إطلاقان:

الأول: إطلاق عام: ويشمل كل أنواع العبادات من صلاة وصيام وحج وقراءة قرآن وثناء ودعاء وتسبيح وتحميد وتمجيد وغير ذلك من أنواع الطاعات؛ لأنها إنما تُقام لذكر الله وطاعته وعبادته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «كلّ ما تكلّمَ بهِ اللّسانُ وتصوّرهُ القلبُ ممّا يقرّبُ إلى اللهِ من تعلّمِ علمٍ وتعليمهِ وأمرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن منكرٍ فهوَ من ذكرِ اللهِ»[1].

وقال عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-: «وإذا أُطلق ذكرُ الله شملَ كلَّ ما يُقرِّب العبدَ إلى الله من عقيدةٍ أو فكرٍ أو عملٍ قلبيٍّ أو عملٍ بدنيٍّ أو ثناءٍ على الله أو تعلمِ علمٍ نافعٍ وتعليمه ونحو ذلك، فكله ذكر لله تعالى»[2].

الثاني: إطلاق خاص: وهو ذكرُ الله بالألفاظ التي وردت عن الله سبحانه وتعالى من تلاوة كتابه أو إجراء أسمائه أو صفاته العليا على لسان العبد أو قلبه مما ورد في كتاب الله سبحانه، أو الألفاظ التي وردت على لسان رسوله ﷺ، وفيها تمجيد وتنزيه وتقديس وتوحيد لله تعالى.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦١).

(٢) الرياض النضرة (ص٢٤٥).

قال ابن علان: «أصل وضع الذكر هو ما تعبَّدَنا الشارعُ بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحق والثناء عليه»[1].

والمراد من الذكر: حضور القلب، فينبغي أن يكون هو مقصودَ الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبّر ما يذكر، ويتعقّل معناه[2].



(١) الفتوحات الربانية (١/ ٣٩٦).

(٢) الأذكار (ص١٣).

مراتب الذكر:

ذِكـرُ الله عـز وجـل يكـون بالقلب ويكـون باللسـان ويكون بالجـوارح، فالقلـب: بالتفكـر، واللسـان: بالنطـق، والجـوارح: بالعمل.

فالذكـر يكـون بالقلـب، ويكـون باللسـان، ويكـون بالقلب واللسان معاً.

أمـا ذِكـر القلـب فمعنـاه: التفكـر والتدبر في عظمـة الله تعالى وجلاله وآياته الشرعية، والقرآن وأحكامه، وآيات الله في مخلوقاته كالسماء والأرض والشمس والقمر.. الخ.

ومِن ذِكرِ الله تعالى بالقلب: أن يَذكره المسلم بقلبه عند أوامره ونواهيه، فيأتي بما أُمر وينتهي عما نُهِي عنه. قاله القاضي عياض[1].

وذِكرُ الله باللسان يكون بالتسبيح والتهليل والاستغفار وقراءة القرآن وكل قول يقرب إلى الله تعالى.

وأكمل المراتب: أن يجمع الذاكر بين ذكر القلب وذكر اللسان.

(١) الفتوحات الربانية (١/ ١٠٦).

قـال النـووي -رحمـه الله-: «الذكـر يكـون بالقلـب، ويكون باللسان، والأفضلُ منه ما كانَ بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصرَ على أحدهما فالقلبُ أفضل.

ثـم لا ينبغـي أن يُترَكَ الذكرُ باللسـان مع القلـب خوفاً من أن يُظـنَّ به الرياء، بل يذكرُ بهما جميعـاً ويُقصدُ به وجهُ الله تعالى، وقد قدّمنا عن الفُضَيل -رحمه الله-: أن ترك العمل لأجل الناس رياء. ولو فتح الإنسانُ عليه بابَ ملاحظة الناس، والاحتراز من تطرّق ظنونهـم الباطلة لانسـدَّ عليه أكثرُ أبواب الخير، وضيَّع على نفسـه شيئاً عظيماً من مهمّات الدين»[1].

وأمـا الذكرُ بالجـوارح: فهو العمل بطاعـة الله، فكل من عمل بطاعـة الله فهو ذاكر لله. قـال النووي: «اعلم أن فضيلة الذكر غيرُ منحـصرةٍ في التسـبيح والتهليل والتحميد والتكبـير ونحوها، بل كلُّ عامـلٍ لله تعـالى بطاعةٍ فهـو ذاكرٌ لله تعالى، كذا قاله سـعيدُ بن جُبير -رحمه الله- وغيره من العلماء.

وقـال عطـاء -رحمـه الله-: مجالـسُ الذِّكر هي مجالـسُ الحلال والحـرام، كيـف تشـتري وتبيـعُ وتصلّي وتصـومُ وتنكـحُ وتطلّق وتحجّ، وأشباه هذا»[2].

فالصـلاة من ذكر الله، والجهاد من ذكـر الله، وبر الوالدين من ذكر الله، وصلة الأرحام من ذكر الله، وإعانة المسلم من ذكر الله،

(١) الأذكار (ص٩).

(٢) الأذكار (ص٩١٠).

ونـصرة المظلوم من ذكـر الله، وتعلّم العلم وتعليمه من ذكر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ذكر الله.

هل يُشترط في الذكر أن يُسمِع الذاكرُ نفسَه وأن يُحركَ لسانه؟

الأذكار التي تقال باللسان كقراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل، وأذكار الصباح والمساء والنوم ودخول الخلاء وغيرها لا بد فيها من تحريك اللسان، ولا يُعَدّ الإنسان ذاكراً إلا إذا حرك بها لسانه.

والفضائل الواردة في الشرع: (مَن قال كذا وكذا فله كذا) لا يحصل هذا الثواب الموعود به إلا بالتلفظ باللسان، وأما مجرد التفكر بالقلب فلا يحصل به هذا الثواب الخاص باتفاق العلماء -نقله ابن حجر الهيتمي- وإن كان يثاب من جهة أخرى وهي التفكر والتدبر[1].

سئل الإمام مالك -رحمه الله- عن الذي يقرأ في الصلاة، لا يُسمِعُ أحداً ولا نفسَه، ولا يحرك به لساناً. فقال: «ليست هذه قراءة، وإنما القراءة ما حرك له اللسان»[2].

وقال الكاساني -رحمه الله-: «القراءة لا تكون إلا بتحريك اللسان بالحروف، فالمصلي القادر على القراءة إذا لم يُحرك لسانه بالحروف لا تجوز صلاته»[3] انتهى بتصرف يسير.

---

(١) الفتوحات الربانية (١/ ١٠٦).

(٢) البيان والتحصيل (١/ ٤٩٠).

(٣) بدائع الصنائع (٤/ ١١٨).

ويدل على ذلك أيضاً: أن العلماء منعوا الجنب من قراءة القرآن باللسان، وأجازوا له أن ينظر في المصحف دون أن يمسّه، ويقرأ القرآن بالقلب دون حركة اللسان. مما يدل على الفرق بين الأمرين، وأن عدم تحريك اللسان لا يُعَدّ قراءة[1].

وسئل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: هل يجب تحريك اللسان بالقرآن في الصلاة؟ أو يكفي بالقلب؟

فأجاب: «القراءة لابد أن تكون باللسان، فإذا قرأ الإنسان بقلبه في الصلاة فإن ذلك لا يجزئه، وكذلك أيضاً سائر الأذكار، لا تجزئ بالقلب، بل لابد أن يحرك الإنسان بها لسانه وشفتيه؛ لأنها أقوال، ولا تتحقق إلا بتحريك اللسان والشفتين»[2].

وأما اشتراط أن يُسمِع نفسَه: فقد قال بذلك كثير من العلماء، والصواب أنه لا يُشترط ذلك، بل يكفي أن يحرك لسانه، فبذلك يتحقق الكلام.

وهو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، ورجحه ابن عثيمين.



(١) انظر: المجموع (٢/ ١٨٧١٨٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٣/ ١٥٦).

العلاقة بين الذكر والدعاء:

وردت نصوص كثيرة تدل على إطلاق الدعاء على الذكر الأعم من معنى دعاء المسألة، منها حديث ابنِ عَبّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَقُولُ عِندَ الكَربِ: «لا إلهَ إلّا الله العظيمُ الحليمُ، لا إلهَ إلّا الله ربُّ العرشِ العظيمِ، لا إلهَ إلّا الله ربُّ السّمواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمِ» متفق عليه.

وفي لفظ للبخاري (٦٣٤٥): «كانَ النّبيُّ ﷺ يدعو عندَ الكربِ يقولُ...».

وقد بيّن هذا أهل العلم:

فقال حسين بن حسن المروزي: سألت ابن عيينة عن الحديث الذي فيه: «أكثر ما كان يدعو به النبي ﷺ بعرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له...»[1] فقال: هو ذكر وليس فيه دعاء، ولكن قال النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضلَ ما أعطي السائلين»[2].

---

(١) رواه أحمد (٦٩٢٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٦٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٢٦) وحسنه، وضعفه غيره.

قال: وقال أمية بن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حَياؤُك إن شيمتك الحياءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوماً
كَفاه من تَعرُّضك الثناءُ

قال سفيان: فهذا مخلوق حين نُسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال فكيف بالخالق؟![1].

وقال الخطابي: «إن الداعي يفتح دعاءه بالثناء على الله سبحانه ويقدمه أمام مسألته، فسُمِّي الثناء دعاء، إذ كان مقدمةً له وذريعة إليه؛ على مذهبهم في تسمية الشيء باسم سببه»[2].

وقال شيخ الإسلام: «إنَّ كلَّ واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه»[3].

فعلى ما تقدم:

- إذا أُريد بالدعاء دعاء العبادة فهو حينئذ مرادف للذكر.
- وإذا أريد بالدعاء دعاء المسألة فيكون حينئذ أخصَّ مطلقا من الذكر، ويكون الذكر أعم مطلقا منه؛ لأن الدعاء لا ينفك عن كونه ذكراً، وأما الذكر فيكون سؤالا ويكون غير سؤال.

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ١٧٦١٧٧).
(٢) شأن الدعاء (ص٢٠٦).
(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٩)، وانظر: بدائع الفوائد (٣/ ١٠).

- وتكون العلاقة بينهما التلازم، وذلك أن دعاء المسألة ذكر وثناء وتضرّع وافتقار، كما أن في الذكر طلب جلب النفع ودفع الضر ورجاء الثواب وخوف العقاب.

والحاصل أن العلاقة بين الدعاء والذكر إما تَرادف واتّحاد، وإما عموم وخصوص مطلق، وإما تلازم، ولا يُتصور انفكاك أحدهما عن الآخر، فلهذا كانت أغلب الكتب المصنفة في الأذكار تشتمل على الأدعية وبالعكس[1].

ولكن الغالب إطلاق الذكر على معناه الخاص وإطلاق الدعاء على دعاء المسألة، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «إن الدعاء أكثر ما يستعمل في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء في السؤال والطلب؛ كما قال العلماء من أهل اللغة وغيرهم»[2].

قراءة القرآن أفضل من الذكر والدعاء المطلق، والذكر أفضل من الدعاء، وأما الذكر المقيد بزمان أو مكان أو حال، فالاشتغال به أفضل.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، هذا من حيث النظر لكل منهما مجرَّداً، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، فلا يجوز أن

(١) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية (١/ ٧٧ ٧٨).

(٢) فتح المجيد (ص١٨٠).

يُعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها، وكذلك التسميع والتحميد في محلهما أفضل من القراءة، وكذلك التشهد، وكذلك «رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» بين السجدتين أفضل من القراءة، وكذلك الذكرُ عقيب السلام من الصلاة -ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد- أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابةُ المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة، وإن كان فضلُ القرآن على كل كلام كفضلِ الله تعالى على خَلقه، لكن لكلّ مَقام مَقال.

وهكذا الأذكارُ المقيدة بمَحالَّ مخصوصةٍ أفضلُ من القراءة المطلقة، والقراءةُ المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن.

مثاله: أن يَتفكر في ذنوبه فيحدث ذلك له توبة من استغفار، أو يَعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصّنه وتحفظه. وكذلك أيضا قد يَعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها أو ذِكرها لم يَحضر قلبه فيهما، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى وأحدث له تضرعاً وخشوعاً وابتهالاً، فهذا يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع، وإن كان كلٌّ من القراءة والذكر أفضلَ وأعظم أجراً.

وهذا بابٌ نافع يحتاج إلى فقهِ نَفس وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطي كل ذي حق حقه، ويوضع كل شيء موضعه...

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يوماً: سئل بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيّاً فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له. فقال لي -رحمه الله- : فكيف والثياب لا تزال دنسة؟[1].



(١) الوابل الصيب (ص١٩٢).

حضور القلب في الذكر:

قال النووي في الأذكار: «المرادُ من الذكر حضورُ القلب، فينبغي أن يكون هو مقصودَ الذاكر فيحرص على تحصيله، ويتدبر ما يذكر، ويتعقل معناه. فالتدبُر في الذكر مطلوبٌ كما هو مطلوبٌ في القراءة لاشتراكهما في المعنى المقصود»[1].

فحضورُ القلب ساعةَ الذكر يورث القلب تعظيم الرب وإجلاله، ويستدعي تدبر الذكر وتعقل معناه، وإذا كان الله عز وجل قال عن القرآن: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، فالذكر كالقرآن، فليحرص الذاكر على تدبره والعمل به.



(١) الأذكار (ص١٢١٣).

العمل بالفضائل حسب الاستطاعة، ولو مرة:

قال النووي -رحمه الله-: «ينبغي لمن بلغه شيء في فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة؛ ليكون من أهله، ولا ينبغي أن يتركه مطلقاً، بل يأتي بما تيسر منه؛ لقول النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «إذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منهُ ما استطعتم»[1].

والواجب من ذلك لابد من الإتيان به، والمستحب منه فأكثر منه ما استطعت ولا تحرم نفسك فضله وأجره، ولو أن تعمل به مرة واحدة.

فلا ينبغي أن يتهاون المسلم بالأذكار الشرعية، وعليه أن ينشغل بها قدرَ ما يستطيع ولا يهجرها بالكلية. ومعلوم أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، بل كان ذكره أحب إليه من ذكر ما سواه؛ لما في قلبه تجاهه من محبة ورضا، فَليستحِ المسلم من ربه أن يهجر ذكره وينشغل عنه بما سواه.



(١) الأذكار (ص٨)، والحديث رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إذا اختلفت الروايات في العدد؟

كُلُّ ذكـر أو دعاء عددي من نوع واحـد جاءت به الرواية على نوعين من العدد أو أكثر، فللذاكر أن يأتي بأي عدد ورد به النص، وكلما كانت الرواية أكثر عدداً فهو أكمل وأفضل.

مثـال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، جاءت في أذكار الصباح والمسـاء: مرة واحدة، وعشر مرات، ومائة مرة.

فمـن قالها مرة واحـدة فقد أحسـن، ومن قالها عـشر مرات فهو أفضـل ممن قالها مرة، ومـن قالها مائة مرة فهو أفضـل منهما؛ ولذلك جاء أجره على التمام، وليس أحد هو أفضل منه إلا من هَلّلَ بهنّ أكثر منه؛ فعن أبي هريرةَ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «من قال لا إلهَ إلّا الله وحـدهُ لا شريـكَ لهُ لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهـوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ في يوم مائةَ مرّةٍ كانت لهُ عدلَ عشرِ رقابٍ، وكتبت لهُ مائةُ حسنةٍ ومحيت عنهُ مائةُ سـيّئةٍ، وكانت لهُ حرزاً من الشّيطانِ يومهُ ذلكَ حتّى يمسيَ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ ممّا جاءَ بهِ إلّا أحدٌ عملَ أكثرَ من ذلكَ»[1].

(١) رواه البخاري (٣٢٩٣) ومسلم (٢٦٩١).

تنبيه مهم:

يجب تعظيم اسم الله تعالى، فلا يُذكر في مقام اللهو واللعب والمعصية، وبعضهم يبدأ حفلات الرقص والمجون والخلاعة بقراءة شيء من القرآن الكريم، أو أسماء الله الحسنى.

وهذا محرم لما فيه من امتهان اسم الله تعالى، وعدم تعظيم آياته.

فـ «كل محرم أو مكروه، من قول أو عمل، لا يجوز افتتاحه بشيء من ذكر الله تعالى، لما فيه من الامتهان، وافتتاح المعصية بالطاعة.

وذلك مثل: كتابة البسملة، أمام الشعر غير الحسن، واستفتاح اللعب المحرم، والرهان المحرم، والبرامج المُضلّة بالقرآن، أو الحمد، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ ونحو ذلك.

وقد وصل الناس في هذا الزمان إلى حد العبث، وعدم المبالاة، والتغطية على عقول السُذَّج بمشروعية تلك المحرمات.

وعن مكحول الأزدي قال: قلت لابن عمر: أرأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر الله؟ وقد قال الله

تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ قال: إن ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت[1].

وعلّق على هذا الأثر الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- تعالى في كتابه عمدة التفسير قائلاً: «وهذا الذي قال ابن عمر حق، ينطبق تماماً على ما يصنع أهل الفسق والمجنون في عصرنا، من ذكر الله سبحانه وتعالى في مواطن فسقهم وفجورهم، وفي الأغاني الداعرة، والتمثيل الفاجر الذي يزعمونه تربية وتعليماً، وفي قصصهم المفترى، الذي يجعلونه أنه هو الأدب وحده أو يكادون، وفي تلاعبهم بالدين، بما يسمونه (القصائد الدينية) و(الابتهالات)، التي يتلاعب بها الجاهلون من القُرّاء، يتغنون بها في مواطن الخشوع وأوقات التخلي للعبادة، حتى لبّسوا على عامة الناس شعائرَ الإسلام، فكل أولئك يذكرون الله فيذكرهم الله بلعنته حتى يسكتوا»[2].



(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٦٠) وإسناده جيد.
(٢) تصحيح الدعاء للشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله- (ص٤٧٩).

الذكر لطائف ومناسبات:

- **لماذا الاهتمام بمعاني الأذكار؟**

إذا عَرف العبد معاني الأذكار التي يتلفظ بها في يومه وليلته وفي عباداته المختلفة أثّرَ فيه الذكرُ تأثيراً بالغاً فجعل منه عبداً خاشعاً مخبتاً لله عز وجل، لأن القلب سيستحضر معاني ما يقول فيزداد تعلقاً بربه ومعبوده وينتفع بالذكر أعظم الانتفاع.

فأفضل الذكر ما اجتمع عليه القلب واللسان، قال ابن القيم -رحمه الله-: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلبُ اللسانَ وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده»[1].

فالخشوع في الصلاة مثلاً مطلبٌ لكل مسلم، وإنّ مما يعين على هذا الخشوع معرفة معاني الأذكار التي نتلفظ بها في الصلاة، حتى يتدبر المصلي ما يتلو من القرآن والذكر، فيشعر بلذّة الطاعة، أما إذا لم يعرف المصلّي معنى ما يقول ولم يتدبّره، فسيردد كلماتٍ تغيب معانيها عنه، ومِن ثَمّ لا يتذوقها ولا يدرك مراميها، وهكذا في سائر العبادات.

---

(١) الفوائد (ص١٩٢).

• سلوك علماء السلف لهذا المنهج (معرفة معاني الأذكار):

وإذا تأملنا في بطون كتب الفقه وشروح الأحاديث لعلمائنا السابقين -كالنووي وابن القيم وابن حجر وغيرهم- لوجدنا أن كتبهم مليئة بشرح هذه الأذكار ومحاولة معرفة مناسبات ألفاظها ومواقعها، فمثلاً: لماذا سُمّي دعاء سيد الاستغفار بهذا الاسم؟ فنجد ابن القيم -رحمه الله- قد فصّل في هذا وأبدع، وما ذلك إلا ليعلم المسلم حينما يتلفظ بهذا الذكر معنى ما يقول، فيرقَّ قلبه، ويشعرَ بالذلة والانكسار تجاه ربه.

ولماذا عند صعود مرتفع نقول: الله أكبر؟ وعند نزول منخفض نقول: سبحان الله؟ ولماذا عند السجود نقول: سبحان ربي الأعلى؟ ولماذا نُهينا في السجود عن قراءة القرآن؟ وهكذا.



الفرق بين الذكر المطلق والمقيد:

هناك فرق بين الأدعية والأذكار المقيدة بحال أو زمان أو مكان، وبين الأدعية والأذكار المطلقة: فالأذكار والأدعية المقيدة يؤتى بها على الوجه الذي ورد في زمانه أو حاله أو مكانه، وبلفظه الوارد من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تقديم ولا تأخير.

وأما الأذكار والأدعية المطلقة فهي على وجهين:

الأول: أذكار وأدعية واردة عن الرسول ﷺ، فهذه يؤتى بها بلفظها الوارد من غير زيادة ولا نقصان.

الثاني: أذكار وأدعية يأتي بها الداعي من عند نفسه أو تكون منقولة عن السلف فلا بأس بها بشروط:

١. أن يختار من الألفاظ أحسنها وأجملها للمعاني وأبينها؛ لأنه يناجي ربه سبحانه.

٢. أن تكون خالية من أي محذور شرعي من حيث اللفظ أو المعنى، كدعاء غير الله، أو التوسل بالأولياء، أو السجع المتكلف.

٣. أن لا يتخذها سنة راتبة يواظب عليها؛ لأن ذلك يجعلها بمنزلة الوارد عن النبي ﷺ.

فذِكر الله عز وجل يكون مطلقاً ويكون مقيداً:

فالأول: وهو المطلق في كل الأوقات والأحوال، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

أي الذين يذكرون الله في جميع أحوالهم: قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم وهم يتدبرون في خلق السموات والأرض قائلين: يا ربنا ما أوجدت هذا الخلق عبثاً فأنت منزّه عن ذلك فاصرِف عنا عذاب النار.

ولا حَرج في ذكر الله تعالى قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً، أو ماشياً في الطريق، ولا يوصف شيء من ذلك بالكراهة؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩١][١] ولحديث عائشةَ «أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يتكئُ في حجري وأنا حائضٌ ثمَّ يقرأُ القرآنَ»[٢].

---

(١) تنبيه: استدل جهلة الصوفية بهذه الآية على ما يفعلونه أثناء الذكر من التمايل والرقص وغير ذلك من جهالاتهم ولا يخفى أن الآية الكريمة لا تدل على هذا.

(٢) متفق عليه.

وقالت عائشةُ ﵂: «كانَ النّبيُّ ﷺ يذكرُ اللهَ على كلِّ أحيانهِ»[1].

وقالت عائشة ﵂: «إنّي لأقرأُ حزبي، أو عامّةَ حزبي، وأنا مضطجعةٌ على فراشي»[2].

وأما الثاني: فهو المقيد، وهو ثلاثة أنواع: مقيد بالأزمان والأماكن والأحوال.



(١) رواه مسلم (٣٧٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٢٤١) وسنده صحيح.

الذكر المقيد بالأزمان:

وهو أن يُخصّ الذكر بزمان معين يدور معه، كلما جاء هذا الوقت وهذا الزمان لهج المسلم بهذا الذكر المعين.

- **ومن الأزمان التي يشرع فيها الذكر: الصباح والمساء.**

وأذكار الصباح والمساء كثيرة متعددة، وهي من الأذكار المقيدة المهمة التي يتحصن بها العبد من الشيطان ووساوسه ومكائده بالصباح والمساء، وبذلك يتحصن منه عُمرَه كله.

وفي السنة الصحيحة جملة حسنة من هذا النوع من الأذكار، فمن ذلك:

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من قال حينَ يصبحُ وحينَ يمسي سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ مائةَ مرّةٍ لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامةِ بأفضلَ ممّا جاءَ بِهِ إلّا أحدٌ قال مثلَ ما قال أو زادَ عليهِ»[٣].

«سُبحانَ اللهِ» أي تنزيهه عما لا يليق به من كل نقص.

«وَبِحَمدِهِ» الحمد: هو وصف المحمود بالكمال.

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٢).

فانتظم في هاتين الكلمتين تنزيه الله عن كل نقص، وإثبات كل صفات الكمال له.

ولذلك كانت هذه الكلمة «سبحان الله وبحمده» من أفضل الأذكار.

فعن أبي ذرٍّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سئلَ أيُّ الكلامِ أفضلُ؟ قال: **«ما اصطفى الله لملائكتِهِ -أو لعبادِهِ-: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ»**[1].

وفي رواية: عن أبي ذرٍّ قال قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«ألا أخبركَ بأحبِّ الكلامِ إلى اللهِ؟»** قلتُ: يا رسولَ اللهِ أخبرني بأحبِّ الكلامِ إلى اللهِ، فقال: **«إنَّ أحبَّ الكلامِ إلى اللهِ سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ»**[2].

وفيه إشارة إلى قول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«كلمتانِ خفيفتانِ على اللّسانِ ثقيلتانِ في الميزانِ حبيبتانِ إلى الرّحمنِ: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ سبحانَ اللهِ العظيمِ»**[3].

قال الحافظ -رحمه الله-: «قوله «خفيفتانِ على اللّسان» قال الطّيبيُّ: الخفّة مستعارة للسّهولةِ، شبّهَ سهولة جريان هذا الكلام على اللّسان بما يخفّ على الحامل من بعض المحمولات فلا يشقّ

(١) رواه مسلم (٢٧٣١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣١).

(٣) رواه البخاري (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤).

عليهِ، فذكرَ المشبّه وأرادَ المشبّه بهِ، وأمّا الثّقل فعلى حقيقته لأنَّ الأعمال تتجسّم عند الميزان، والخفّة والسّهولة من الأمور النّسبيّة.

وفي الحديث حثّ على المواظبة على هذا الذّكر وتحريض على ملازمته؛ لأنَّ جميع التّكاليف شاقّة على النّفس. وهذا سهل ومعَ ذلكَ يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشّاقّة فلا ينبغي التّفريط فيهِ.

وخصَّ الرّحمن من الأسماء الحسنى للتّنبيهِ على سعة رحمة الله، حيثُ يجازي على العمل القليل بالثّوابِ الجزيل، ولما فيها من التّنزيه والتّحميد والتّعظيم»[1].

***

سيد الاستغفار:

عن شدّادُ بنُ أوسٍ ﷺ عن النّبيِّ ﷺ قال: «**سيّدُ الاستغفارِ أن تقولَ: اللهمَّ أنتَ ربّي لا إلهَ إلّا أنتَ خلقتني وأنا عبدكَ وأنا على عهدكَ ووعدكَ ما استطعتُ، أعوذُ بكَ من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لكَ بنعمتكَ عليَّ وأبوءُ لكَ بذنبي فاغفر لي؛ فإنّهُ لا يغفرُ الذّنوبَ إلّا أنتَ» قال: «ومن قالها من النّهارِ موقناً بها فماتَ من يومهِ قبلَ أن يمسيَ فهوَ من أهلِ الجنّةِ، ومن قالها من اللّيلِ وهوَ موقنٌ بها فماتَ قبلَ أن يصبحَ فهوَ من أهلِ الجنّةِ**»[2].

(١) فتح الباري (١١/ ٢٠٨).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٦).

ومناسبة الحديث في الصباح والمساء ظاهرة:

فالإنسان لن يموت إلا في يوم أو ليلة، فقراءة هذا الذكر يكون سببا في حسن الخاتمة؛ وذلك أن سيد الاستغفار فيه ذِكرُ العبدِ ربَّه بأكمل الأوصاف، وذكر نفسه بأنقص الحالات، وهو أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة.

أما الأول: فلما فيه من الاعتراف بالربوبية وتوحيد الألوهية، والإقرار بنعم الله تعالى على العبد.

وأما الثاني: فلما فيه من الاعتراف بالعبودية والذنوب.

والاستغفار: هو طلب المغفرة وهي ستر الذنب والوقاية منه، وكان هذا الدعاء استغفاراً؛ لقوله في آخره: «فاغفر لي؛ فإنّهُ لا يغفرُ الذّنوبَ إلّا أنتَ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وتقولُ المرأةُ في سيّدِ الاستغفارِ وما في معناهُ: «وأنا أمتك بنتُ أمتك أو بنتُ عبدك» ولو قالت: «وأنا عبدك» فلهُ مخرجٌ في العربيّةِ بتأويلِ: شخصٍ»[1].

وقال أيضاً: «قد اشتمل هذا الحديث من المعارف الجليلة ما استحق لأجلها أن يكون سيّد الاستغفار، فإنه صدّره باعتراف العبد بربوبية الله، ثم ثنّاها بتوحيد الإلهية بقوله: «لا إله إلا أنت». ثم ذكر اعترافه بأن الله هو الذي خلقه وأوجده ولم يكن شيئا،

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٤٥).

فهـو حقيق بـأن يتولى تمام الإحسـان إليه بمغفرة ذنوبـه، كما ابتدأ الإحسان إليه بخلقه.

ثم قال: «وأنا عبدك» اعترف له بالعبودية.

ثم قال: «وأنا على عهدك ووعدك ما اسـتطعت» فالله سبحانه وتعـالى عهـد إلى عبـاده عهدا أمرهـم فيه ونهاهـم، ووعدهم على وفائهم بعهده أن يثيبهم بأعلى المثوبات.

وقوله: «ما استطعت» أي إنما أقوم بذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب ما ينبغي لك وتستحقه عليّ.

ثم قال: «أعوذ بك من شر ما صنعت» فاستعاذته بالله الالتجاء إليـه والتحصّـن به والهروب إليه من المسـتعاذ منـه، كما يتحصن الهارب من العدو بالحصن الذي ينجيه منه.

ثم قال: «أبوء لك بنعمتك عليّ» أي أعترف لك بإنعامك عليّ، وأني أنا المذنب، فمنك الإحسـان ومني الإساءة. فأنا أحمدك على نعمتك، وأنت أهل لأن تُحمد وأستغفرك لذنوبي.

ولذا قال بعض الصالحين: ينبغي للعبد أن تكون أنفاسُـه كلها نَفَسَين: نَفسا يَحمد فيه ربه، ونَفسا يَستغفره من ذَنبِه.

ومتى شـهد العبدُ هذين الأمرين اسـتقامت لـه العبوديةُ، وتَرقّى في درجـات المعرفة والإيمان، وتَصاغرت إليه نفسُـه، وتواضع لربه، وهذا هو كمال العبودية، وبه يَبرأ من العُجب والكِبر وزينة العمل»[1].

(١) جامع الرسائل والمسائل (١/ ١٥٩-١٦٢) - باختصار.

قراءة المعوذات:

عن عبدِ اللهِ بنِ خبيبٍ أن رسول الله ﷺ قال له: «قل هوَ الله أحدٌ والمعوّذتينِ حينَ تمسي وتصبحُ ثلاثَ مرّاتٍ تكفيكَ من كلِّ شيءٍ»[1].

وكأن قراءة سورة الإخلاص بمنزلة الثناء قبل الدعاء[2].

فهو يثني أولا على الله تعالى بما هو أهله من التوحيد، ثم يستعيذ به؛ فيكفيه الله كل سوء وشرّ.

قال القاري -رحمه الله-: «قال الطّيبيُّ: أي تدفعُ عنكَ كلَّ سوءٍ، فـ«من» زائدةٌ في الإثباتِ، ويصحُّ أن تكونَ لابتداءِ الغايةِ، أي تدفعُ عنكَ من أوّلِ مراتبِ السّوءِ إلى آخرها.

أو تبعيضيّةً، أي بعض كلِّ نوعٍ من أنواعِ السّوءِ.

ويحتملُ أن يكونَ المعنى: تغنيكَ عمّا سواها. وينصرُ المعنى الثّاني ما في الحديثِ الأوّلِ وهوَ حديثُ عقبةَ؛ لقولِهِ «فما تعوّذَ متعوّذٌ بمثلهما»[3].

وعن عقبةَ بنِ عامرٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ألم ترَ آياتٍ أنزلت اللّيلةَ لم يرَ مثلهنَّ قطُّ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) والنسائي (٥٤٢٨) وحسنه الألباني.

(٢) الفتوحات الربانية (٣/ ٨٤).

(٣) مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٩).

(٤) رواه مسلم (٨١٤).

ورواه النسائي (٩٥٣) ولفظه: «لن تقرأ شيئاً أبلغَ عندَ اللهِ من ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

قال السندي: «قوله «أبلغ عند الله» أي: أعظم في باب الاستعاذة»[1].

وشرع قراءة المعوذات ثلاث مرات؛ لأن من أدب الدعاء الإلحاح، وأقلّه الثلاثة[2].

❊ ❊ ❊

لا يضر مع اسم الله شيء:

عن أبانَ بنِ عثمانَ قال: سمعتُ عثمانَ بنَ عفّانَ ﷺ يقولُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما من عبدٍ يقولُ في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ: بسمِ اللهِ الّذي لا يضرُّ معَ اسمهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ وهوَ السّميعُ العليمُ ثلاثَ مرّاتٍ لم يضرّهُ شيءٌ**»[3].

قوله «ومساءِ كلِّ ليلةٍ» ظاهره أنه لا يحصل له الفائدة من الحديث إلا إذا قاله في أول الليل، فلو قاله قبل الغروب لا يحصل له ذلك.

والمساء قد يطلق على ما بعد الغروب. قال السندي -رحمه الله-: «أي بعد طلوع الفجر وبعد غروب الشمس»[4].

---

(١) حاشية السندي على النسائي (٨/ ٢٥٤).

(٢) الفتوحات الربانية (٣/ ٨٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجة (٣٨٦٩) وصححه الألباني.

(٤) حاشية السندي على ابن ماجة (٧/ ٢٥٠).

«لا يضرُّ معَ اسمِهِ» أي لا يضر مع ذكر اسمه شيء من طعام أو عدوّ أو حيوان أو غيره من العالم السفلي المشار إليه بالأرض، أو العالم العلوي المشار إليه بقوله: «ولا في السماء».

وفي رواية أبي داود: «لم تصبهُ فجأةُ بلاءٍ» وصححه الألباني[1].

أي: البلاء الذي يأتي مفاجأة من غير تقدّم سبب، لأن ما يأتي فجأة أعظم من الذي يأتي بالتدرّج، وهو من ذكر الخاص الموافق للعام في الحكم، فلا يقتضي التخصيص.

وفي رواية الحديث: «كانَ أبانُ قد أصابهُ طرفُ فالجٍ[2]، فجعلَ الرّجلُ ينظرُ إليهِ، فقال لهُ أبانُ: ما تنظرُ؟ أما إنَّ الحديثَ كما حدّثتكَ ولكنّي لم أقلهُ يومئذٍ ليمضيَ الله عليَّ قدرهُ».

وفي هذا ما يدل على أن المحافظة على الأذكار المقيدة شرط في حصول الفضل المذكور للذكر، وأن من لم يحافظ عليها فقد يحرم الفضل أو بعضه.

وكان من عادة السلف الاستدامة على الذكر المقيد وعدم تركه مهما تغيرت الأحوال؛ فعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ أنَّ فاطمةَ اشتكت ما تلقى من الرّحى في يدها، وأتى النّبيَّ ﷺ سبيٌ فانطلقت فلم تجدهُ ولقيت عائشةَ فأخبرتها، فلمّا جاءَ النّبيُّ ﷺ أخبرتهُ عائشةُ بمجيءِ فاطمةَ إليها، فجاءَ النّبيُّ ﷺ إلينا ثمَّ قال: «**ألا أعلّمكما**

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٢٦).

(٢) الفالج: شلل يصيب أحد شقيّ الجسم طولاً. المعجم الوسيط (٢/ ٦٩٩).

خيراً مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبّرا الله أربعاً وثلاثينَ وتسبّحاهُ ثلاثاً وثلاثينَ وتحمداهُ ثلاثاً وثلاثينَ، فهوَ خيرٌ لكما من خادمٍ»، قال عليٌّ: ما تركتهُ منذُ سمعتهُ من النّبيِّ ﷺ. قيلَ لهُ ولا ليلةَ صفّينَ؟ قال: ولا ليلةَ صفّينَ[1].

***

ومن أذكار الصباح والمساء:

عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال: كانَ نبيُّ اللهِ ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملكُ للهِ، والحمدُ للهِ، لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ربِّ أسألكَ خيرَ ما في هذهِ اللّيلةِ وخيرَ ما بعدها، وأعوذُ بكَ من شرِّ ما في هذهِ اللّيلةِ وشرِّ ما بعدها، ربِّ أعوذُ بكَ من الكسلِ وسوءِ الكبرِ، ربِّ أعوذُ بكَ من عذابٍ في النّارِ وعذابٍ في القبرِ».

وإذا أصبحَ قال ذلكَ أيضاً: «أصبحنا وأصبحَ الملكُ للهِ»[2].

ما معنى أمسى الملك لله، والملك لله أبداً، وكذلك الحمد لله؟

الجواب: هو بيان حال القائل، أي عرفنا أن الملك لله والحمد له لا لغيره، فالتجأنا إليه واستعنا به، وخصصناه بالعبادة والثناء عليه والشكر له.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٣).

وقولـه: «خـيرَ ما في هذهِ اللّيلةِ» أي خـير ما أردت وقوعه في هـذه الليلة، لخـواص خلقك من الكـمالات الظاهـرة والباطنة، ويدخـل في ذلـك أيضاً خير مـا في هذه الليلة مـن العبادات التي أُمرنـا بها فيهـا، أو المراد خير الموجودات التـي قارن وجودها هذه الليلة.

وقوله: «شرِّ ما في هذهِ اللّيلةِ» أي من شَرِّ أردت وقوعه فيها.

أو المراد: شرّ كل موجود الآن مما فيه شرّ[1].

وعـن عبـد اللهِ بن عمـرو بنِ العـاصِ أنّ أبا بكـرٍ الصّدّيقَ ﵁ قـال: يا رسـولَ اللهِ علّمنـي ما أقـولُ إذا أصبحتُ وإذا أمسـيتُ. فقال: «يا أبا بكرٍ قل: اللهمَّ فاطرَ السّمواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشّـهادةِ لا إلـهَ إلّا أنـتَ ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكهُ أعوذُ بكَ من شرِّ نفسي ومن شرِّ الشّـيطانِ وشركِهِ، وأن أقترفَ على نفسي سـوءاً أو أجرّهُ إلى مسلمٍ»[2].

قوله: «أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفسِي» أي شرّ هواها المخالف للهدى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وتقديم الاسـتعاذة من شر النفس على الاستعاذة من الشيطان فيه الإشـارة إلى مزيد الاعتناء بتطهـير النفس، ودفع صولة العدو الداخلي تكون قبل دفع صولة العدو الخارجي.

(١) الفتوحات الربانية (٣/ ٩٠).

(٢) رواه الترمذي (٦٨١٢) وصححه الألباني.

وشَرّ الشَّيطانِ: وسوسته وإغواؤه وإضلاله وصرعه، والمراد جنس الشياطين.

«وَشِركِهِ» تخصيص بعد تعميم، وهي بكسر الشين: من الإشراك بالله أي يوقع الإنسان في الشرك والكفر.

وبفتح الشين: أي حبائله، والحبائل هي ما يمسك به الصيد إذا غفل عنها، أو اغتر بما فيها مما تشتهيه نفسه، والمراد بحبائل الشيطان: تسويلاته وتزييناته التي يُري بها الباطل حقا والقبيح حسناً.

وأشراكُ الشيطان وحبائله كثيرة، ينصبها لابن آدم وقد قعد له بأطرُقِه ليضلّه، فتارة يضله بالشهوة، وتارة بالشبهة، وتارة بتسليط أهل الشرّ عليه، وأقل ذلك أن يشغله بالمفضول عن الفاضل، فهو يروم غايته فيه بكل وسيلة تمكنه.

وربما بادأه بالفكرة والخطرة، فإن استرسل معه وجاراه طمع فيه؛ حتى تصير الفكرة شهوة، ثم لا يزال به حتى تصير الشهوة عادة، فتضعف حينئذ نفسه عن طلب السلامة، وقد تلطخ قلبه بما تلطخ به مما كان بمنأى من قبل عنه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «دافع الخطرة فَإِن لم تفعل صارَت فكرة، فدافع الفكرة فإن لم تفعل صارَت شَهوَة، فحاربها فَإِن لم تفعل صارَت عَزِيمَة وهِمَّة، فَإِن لم تدافعها صارَت فعلا، فَإِن لم تتداركه بضدّه صار عادَة؛ فيصعب عَلَيك الِانتِقال عَنها»[1].

(١) الفوائد (ص٣١).

وتلـك من مَصاليه وفخوخه وحبائله التـي ينصبها ليغوي بها ابن آدم.

فلذلك يحتمي العبد المسلم من الشيطان ويحترز من شره بهذه المعـوذات الشرعية، التـي يبدؤها بالثناء عـلى الله تعالى بتمجيده وتوحيده.

***

من فواضل الأذكار:

عـن جويرية ﵂ أنَّ النّبـيَّ ﷺ خرجَ من عندهـا بكرةً[1] حيَن صـلّى الصّبحَ وهيَ في مسـجدها ثمَّ رجعَ بعـدَ أن أضحى[2] وهيَ جالسـةٌ فقال: «ما زلتِ على الحالِ الّتـي فارقتكِ عليها؟»، قالت: نعم. قال النّبيُّ ﷺ: **«لقد قلتُ بعدكِ أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مرّاتٍ لو وزنت بما قلتِ منذُ اليومِ لوزنتهنَّ: سبحانَ اللهِ وبحمدهِ عددَ خلقهِ ورضا نفسهِ وزنةَ عرشهِ ومدادَ كلماتهِ»**[3].

قوله: «وهيَ في مسجدها» أي المكان المعدّ للصلاة من بيتها.

وكان من عادة السلف أن يتخذوا في بيوتهم أماكن يخصصونها للذكر وصلاة النوافل وغير ذلك.

---

(١) البكرة أول النهار من طلوع الفجر.

(٢) أي دخل في الضحى.

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٦)

قولـه: «لوزنتهـنَّ» أي عادلتهـن، أو زادت عليهـن، ويؤيـده روايـة أحمد (٢٣٣٠): «لقد قلتُ بعـدكِ كلماتٍ لو وزنَّ لرجحنَ بما قلتِ» وإسناده صحيح.

«وَمِـدادَ كَلِماتِـهِ» المـداد بمعنـى المـدد، والمدد هو مـا كثّر به الـشيء، وكلـمات الله لا نهاية لها، كما قال تعـالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

«وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان، لأن هذه الأشـياء مخلوقـة، وجميع المخلوقات، منقضيـة منتهية، وأما كلام الله، فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهى»[1].

والمراد أن التسبيح والحمد لا يُحدّدان بعدد ولا مقدار، كمداد كلماته.

وذكر النبي ﷺ هذه الأمور الأربعة على جهة الكثرة التي لا تنحصر.

وذكـرَ مع الخلـق والعرش العددَ والـوزنَ، ولم يذكر واحداً منهما مع رضائه ومداد كلماته؛ إشـارة إلى أنهما لا يدخلان في المعدود ولا المـوزون، ولا يحصرهما المقـدار[2]. وعن أبي هريـرةَ ﷺ قال: كانَ النّبـيُّ ﷺ إذا أصبـحَ قـال: «اللهمَّ بكَ أصبحنا، وبكَ أمسـينا، وبكَ

(١) تفسير السعدي (ص٤٨٨).

(٢) دليل الفالحين (٧/ ٢٣١).

نحيـا، وبكَ نموتُ، وإليكَ النّشـورُ»، وإذا أمسـى قـال: «اللهمَّ بكَ أمسـينا، وبكَ أصبحنا، وبـكَ نحيا، وبكَ نمـوتُ، وإليكَ المصيرُ» رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٩٩) بهذا اللفظ، وصححه النووي وابن حجر، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٣).

وعند أبي داود (٥٠٦٨) بلفظ: «النشـور» فيهما، وعند الترمذي (٣٣٩١) بلفظ «المصير» في الصباح، و«النشور» في المساء.

قـال ابن القيم عن روايـة البخـاري في الأدب المفرد: «وهيَ أولى الرّوايات أن تكون محفوظة -لأنَّ الصّباح والانتباه من النّوم: بمنزلةِ النّشـور وهوَ الحياة بعد الموت. والمسـاء والصّيرورة إلى النّـوم بمنزلـةِ المـوت والمصـير إلى الله ولهذا جعلَ الله سـبحانه في النّـوم الموت والانتبـاه بعده دليلاً على البعث والنّشـور- لأنَّ النّـوم أخـو المـوت والانتباه نشـور وحيـاة، قال تعـالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾. ويدلّ عليهِ أيضاً ما رواهُ البخاريّ في صحيحه عن حذيفة «أنَّ النّبيّ ﷺ كانَ إذا استيقظَ قال: الحمد للهِ الّذي أحيانا بعدما أماتنا وإليهِ النّشور»[1].

ومـؤدّى المصير والنشـور واحد، وهو الرجـوع إلى الله تعالى بعد الموت[2].

(١) تهذيب السنن (٢/ ٤٦٥).

(٢) الفتوحات الربانية (٣/ ٨٦).

سؤال الله العفو والعافية:

عـن ابنَ عمرَ رضي الله عنهما أنه قـال: لم يكن رسـولُ اللهِ ﷺ يدعُ هؤلاءِ الدّعواتِ حينَ يمسي وحينَ يصبحُ: «اللهمَّ إنّي أسـألكَ العافيةَ في الدّنيا والآخرةِ، اللهمَّ إنّي أسـألكَ العفـوَ والعافيةَ في ديني ودنيايَ وأهلي ومالي، اللهمَّ استرْ عوراتي وآمن روعاتي، اللهمَّ احفظني من بـينِ يديَّ ومن خلفي وعن يميني وعن شـمالي ومن فوقي، وأعوذُ بعظمتكَ أن أغتالَ من تحتي»[1].

وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يداوم على هؤلاء الكلمات؛ وهو مما يدل على فضلها.

و«العافِيَةَ» هي السـلامة من الأسقام والبلايا، وسؤال العافية مـن أجمـع الأدعية لأنهـا تعني السـلامة مـن كل الآفـات الدينية والدنيوية.

ومعنى العافية من آفات الدنيا عدم الابتلاء بها، والصبر عليها إن وقعت، ولهذا أرشد النبي ﷺ العباس رضي الله عنه إلى سؤال الله العافية في قوله: «يا عمَّ رسولِ اللهِ: سل اللهَ العافيةَ في الدّنيا والآخرةِ»[2].

وأسألك «العافِيَة فِي دِينِي» بدوام الترقي في كمالاته، والسلامة من النقص الذي يهوي بالعبد.

و«العَفوَ» هو محو الذنوب.

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٤) وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٤) وصححه الألباني.

فما كان سبيله الترقي فيسّره لي وأزل عن طريقي عراقيله، وما كان سبيله النقص والحرمان فسلّمني منه، وما كان من ذنب اقترفته فاغفره لي.

وتأمل الجمع بين الدين والدنيا في طلب العفو العافية، في قوله: «أسألكَ العفوَ والعافيةَ في ديني ودنيايَ» فهو صباح مساء يطلب السلامة لدينه بالبعد عن المعصية وأهلها وعن مواطن الفتن ومواقع الشبه، ويطلب السلامة لدنياه من النكبات والمعيشة المنغصة والاضطرابات النفسية، ومن أنواع البلاء في النفس والأهل والمال والولد[1]؛ وإذا سلم له دينه ودنياه أحياه الله في الدنيا حياة طيبة سالمة من المنغصات، وأجزل له المثوبة والعطاء في الآخرة؛ كما قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

«وَأهلِي وَمالِي» بألا يرى فيهما ما يسوؤه.

وقوله «استُرْ عَوراتِي» العورات منها ما هو حسيّ ومنها ما هو معنوي، فالعبد يسأل ربه أن يستر عليه عوراته فلا يفضحه في

(١) فعلى من يخاف على نفسه من نكبات الدنيا وفجآت البلاء أن يلتزم العمل بهذا الحديث ويواظب عليه، وخاصة أولئك التجار الذين يصيبهم ما يصيبهم من ذلك في أسواق الأسهم وكثير من المعاملات التجارية، والذكر والدعاء إما أن يمنعا وقوع البلاء أو يخففاه أو يحملا صاحبه على الصبر والاحتساب، وفي كلٍّ خير.

الدنيا ولا في الآخرة، ولا ينزله منازل الخزي والفضح فيهما، وإنما يستر عليه عيوبه ويغفر له ذنوبه ويسدل عليه ستره ويجعله في كَنَفِه وحفظه.

«وَآمِـن رَوعَـاتِي» أي فزعـاتي التي تخيفنـي، أي ارفع عني كل خوف.

و«عوراتي وروعاتي» بصغية الجمع إشارة إلى كثرتها.

وقولـه: «اللهمَّ احفظني من بينِ يديَّ...» الخ، أي: ادفع عني البـلاء، من جهاتي الســت، لأن كل بلاء يصل للإنســان إنما يصل من إحدى هذه الجهات.

«وَأَعُـوذُ بِعَظَمَتِـكَ أَن أُغتَـالَ مِـن تَحتِي» بالَغَ في جهة الســفل لرداءة الآفة.

والاغتيال أن يُخدع ويُقتل في موضع لا يراه أحد.

وقال وَكِيعٌ: يَعنِي الخَسفَ[1].

* * *

الاستعاذة بكلمات الله:

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: جاءَ رجلٌ إلى النّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ

(١) الفتوحات الربانية (٣/ ١٠٩).

اللهِ ما لقيتُ من عقربٍ لدغتني البارحةَ؟[1] قال: «أما لو قلتَ حيَن أمسيتَ أعوذُ بكلماتِ اللهِ التّامّاتِ من شرِّ ما خلقَ لم تضرّكَ»[2].

وروى الترمذي (٣٥٢٩) عن سهيلِ بنِ أبي صالحٍ عن أبيهِ عن أبي هريرةَ عن النّبيِّ ﷺ قال: «من قال حينَ يمسي ثلاثَ مرّاتٍ أعوذُ بكلماتِ اللهِ التّامّاتِ من شرِّ ما خلقَ لم يضرّهُ حمةٌ تلكَ اللّيلةَ»[3].

قال سهيلٌ: فكانَ أهلنا تعلّموها فكانوا يقولونها كلَّ ليلةٍ، فلدغت جاريةٌ منهم فلم تجد لها وجعاً.

«أعوذُ بكلماتِ اللهِ»: هي القرآن.

«التّامّاتِ» أي التي لا يطرقها عيب ولا نقص بخلاف كلام الناس.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «الاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة، وذلك مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق، ولأنه قد ثبت في الصحيح وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» قالوا: والاستعاذة لا تكون بمخلوق»[4].

---

(١) المعنى: لقيت وجعاً شديداً.

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٩).

(٣) رواه الترمذي (٣٩٦٦) وصححه الألباني.

(٤) اقتضاء الصراط (ص٤١٨-٤١٩).

وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «يحمل كلام الإمام أحمد -رحمه الله- على أن الاستعاذة بكلام لا تكون بكلام مخلوق، بل بكلام غير مخلوق، وهو كلام الله، والكلام تابع للمتكلّم به: إن كان مخلوقا فهو مخلوق، وإن كان غير مخلوق فهو غير مخلوق»(١).

وقوله: «لم يضره شيء» يشمل كل شيء، حتى النفس والهوى.

❊ ❊ ❊

الإقرار بالنعمة لله وشكره عليها صباحَ مساء:

عن عبدِ اللهِ بنِ غنّامٍ البياضيِّ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**من قال حينَ يصبحُ: اللهمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ فمنكَ وحدكَ لا شريكَ لكَ فلكَ الحمدُ ولكَ الشّكرُ فقد أدّى شكرَ يومِهِ، ومن قال مثلَ ذلكَ حينَ يمسي فقد أدّى شكرَ ليلتِهِ**»(٢).

في هذا الحديث الإقرار بأن جميع النعم من الله تعالى: الدينية والدنيوية.

وقوله: «فلكَ الحمدُ ولكَ الشّكرُ» أي: إذا كانت النعم كلها منك وحدك فها أنا أنقاد لك وأخص الحمد والشكر لك، فلك الحمد لا لغيرك، ولك الشكر لا لأحد سواك.

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٠/ ٥٠٨).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٧٣) وحسنه ابن القيم وابن حجر وغيرهما، وضعفه الألباني.

وقولـه: «فمنكَ وحدكَ» ليس هو جواب الشرط؛ لأن جواب الشرط يشترط فيه أن يكون مسبّباً عن الشرط، وعلى هذا فهو دال على الجواب وليس هـو الجواب، وجواب الشرط: فمنك وحدك فأوزعني أن أقوم بشكرها[1].

* * *

الإقرار بالتوحيد والإشهاد عليه صباحَ مساء:

عـن أنـسِ بنِ مالكٍ ﷺ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قال: «**من قال حينَ يصبحُ أو يمسي: اللهمَّ إنّي أصبحتُ أشهدكَ وأشهدُ حملةَ عرشكَ وملائكتـكَ وجميعَ خلقكَ أنّكَ أنتَ الله لا إلـهَ إلّا أنتَ وأنَّ محمّداً عبدكَ ورسـولكَ: أعتقَ الله ربعهُ من النّـارِ، فمن قالها مرّتينِ أعتقَ الله نصفـهُ، ومن قالها ثلاثـاً أعتقَ الله ثلاثةَ أرباعهِ، فـإن قالها أربعاً أعتقهُ الله من النّار**»[2].

«أشـهدكَ» أي أجعلـك شـاهداً عـلى إقـراري بوحدانيتك في الألوهيـة والربوبيـة، وهو تأكيد للشـهادة في كل صباح ومسـاء، وغرضه: أنه ليس من الغافلين عنها.

«حملةَ عرشكَ وملائكتكَ» تعميم بعد تخصيص.

«وجميعَ خلقكَ» تعميم آخر.

---

(١) الفتوحات الربانية (٣/ ١٠٨).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٦٩) وحسنه ابن القيم وابن حجر وضعفه الألباني.

وقد اختلف في هذا الحديث، فمن العلماء من حسنه ومنهم من ضعفه، وقد صح نحوه غيرَ مقيد بالصباح والمساء؛ فروى الحاكم (١٩٢٠) عن سلمانُ الفارسيّ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من قال اللهمَّ: إنّي أشهدكَ وأشهدُ ملائكتكَ وحملةَ عرشكَ، وأشهدُ من في السّماواتِ ومن في الأرضِ، أنّكَ أنتَ الله لا إلهَ إلّا أنتَ وحدكَ لا شريكَ لكَ، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدكَ ورسولكَ، من قالها مرّةً أعتقَ الله ثلثهُ منَ النّارِ، ومن قالها مرّتينِ أعتقَ الله ثلثيهِ منَ النّارِ، ومن قالها ثلاثاً أعتقَ الله كلّهُ منَ النّارِ»[1].

وعن أبي عيّاشٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «من قال إذا أصبحَ: لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، كانَ لهُ عدل رقبةٍ من ولدِ إسماعيلَ وكتبَ لهُ عشرُ حسناتٍ وحطَّ عنهُ عشرُ سيّئاتٍ ورفعَ لهُ عشرُ درجاتٍ وكانَ في حرزٍ من الشّيطانِ حتّى يمسيَ. وإن قالها إذا أمسى كانَ لهُ مثلُ ذلكَ حتّى يصبحَ»[2].

قوله: «عدلَ رقبةٍ» بفتح العين وكسرها، أي كان ذلك القول لمن قاله مثل عتق رقبة في الأجر.

«من ولدِ إسماعيلَ» التخصيص بهم لأنهم أشرف من سبي.

---

(١) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني أيضا في الصحيحة (٢٦٧) وقال: «وله شاهد من حديث أنس مرفوعا نحوه مقيدا بالصباح والمساء، وسنده ضعيف كما بينته في «سلسلة الأحاديث الضعيفة) رقم (١٠٤١)».

(٢) رواه أبو داود (٥٠٧٧).

«وكانَ في حرزٍ من الشّيطانِ» أي في حفظ من وسوسة الشيطان وإغوائه[1].

* * *

سؤال الله خير اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه:

عن أبي مالكٍ الأشعريَّ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا أصبحَ أحدكم فليقل: أصبحنا وأصبحَ الملكُ للهِ ربِّ العالمينَ اللهمَّ إنّي أسألكَ خيرَ هذا اليومِ فتحهُ ونصرهُ ونورهُ وبركتهُ وهداهُ وأعوذُ بكَ من شرِّ ما فيهِ وشرِّ ما بعدهُ، ثمَّ إذا أمسى فليقل مثلَ ذلكَ**»[2].

«فَتحَهُ» هذا بيان لقوله: خير هذا اليوم، والفتح هو الظفر بالمقصود.

«وَنَصرَهُ» هو الإعانة على العدو الظاهري والباطني.

«وَنُورَهُ» هو أن يهدي الله تعالى عبده إلى طريق الحق فيعمل به.

«وَبَرَكَتَهُ» البركة كثرة الخير وثبوته، وتكون في الوقت والرزق والمال والجهد وغير ذلك.

«وَهُداهُ» الهداية إلى الحق علماً وعملاً ومداومةً عليه إلى حسن الخاتمة.

---

(١) الفتوحات الربانية (٣/ ١١٣).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٢)، ثم ضعفه في ضعيف أبي داود وفي السلسلة الضعيفة (٥٦٠٦).

«وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ ما فِيهِ وَشَرِّ ما بَعدَهُ» أي ما بعده من الأيام، وكأنه استعاذ من شر ما بعده، ولم يسأل خير ما بعده؛ لأن الاعتناء بدفع المفاسد أهم من جلب المصالح، ومن القواعد: «أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[1].

* * *

سؤال الله العافية في البدن والسمع والبصر صباحَ مساء:

عن عبدُ الرّحمنِ بنُ أبي بكرةَ أنه قال لأبيهِ: يا أبتِ إنّي أسمعكَ تدعو كلَّ غداةٍ: «اللهمَّ عافني في بدني اللهمَّ عافني في سمعي اللهمَّ عافني في بصري لا إلهَ إلّا أنتَ» تعيدها ثلاثاً حينَ تصبحُ وثلاثاً حينَ تمسي، وتقولُ: «اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من الكفرِ والفقرِ اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من عذابِ القبرِ لا إلهَ إلّا أنت» تعيدها حينَ تصبحُ ثلاثاً وثلاثاً حينَ تمسي قال: نعم يا بنيَّ إنّي سمعتُ النّبيَّ ﷺ يدعو بهنَّ فأحبُّ أن أستنَّ بسنّتهِ[2].

قوله: «اللهمَّ عافني في بدني» أي أعطني العافية من الآفات المانعة من القوة على الطاعة، وسلمني بأن لا يقع شيء من جوارحي في معصية.

---

(١) الفتوحات الربانية (٣/ ١١٥).

(٢) رواه أحمد (١٩٩١٧) وأبو داود (٥٠٩٠) وحسنه الحافظ والألباني.

واعف عمّا يقع من المخالفة.

فعافني من أن أقع في معصيتك، فإن وقعت فاعف عني واغفر لي.

«اللهمَّ عافني في سمعي» أي سلّمه وأبعد عنه الآفات، وسلمه من كل خلل يمنعه من إدراك الحق وقبوله، وعافني فيه، فلا يسمع ما لا يجوز سماعه.

«اللهمَّ عافني في بصري» من العمى، وعدم مشاهدة آياتك أو من النظر إلى الحرام.

وذِكرُ السمع والبصر بعد البدن مِن ذِكرِ الخصوص بعد العموم لأهميتهما:

فبالسمع: تُدرَك آياتُ الله المنزلة على الرسل.

وبالبصر: تُدرك آيات الكون المنبثة في الآفاق.

ولذلك كان النبي ﷺ يدعو: «اللهمَّ متّعنا بأسماعنا وأبصارنا»[1].

وتقديم السمع على البصر يدل على أنه أفضل، وبيان ذلك أن فقد البصر لا يمنع من معرفة الحق واتباعه، بخلاف مَن فَقَدَ سَمعَه، إلا أن يعطيه الله ذلك هبة منه[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٢) وحسنه الألباني.

(٢) الفتوحات الربانية (٣/ ١١٦).

وقوله: «أعوذُ بكَ من الكفرِ والفقرِ اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من عذابِ القبرِ».

قال المناوي: «قرن الفقر بالكفر لأنه قد يجر إليه»[1].

***

متى تقال أذكار الصباح والمساء؟

للعلماء أقوال متعددة في تحديد وقت الصباح والمساء بدايةً ونهاية:

فمنهم من قال: وقت أذكار الصباح ما بين طلوع الفجر إلى شروق الشمس، ووقت أذكار المساء ما بين العصر والمغرب.

واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم حيث قال في كتابه الوابل الصيب (ص٩٣): «ذِكرُ طَرَفي النهار، وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] والأصيل: قال الجوهري هو الوقت بعد العصر إلى المغرب.

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥١]

---

(١) فيض القدير (٢/ ١٧١).

فالإبكار أول النهار والعشي آخره، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي، أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر» انتهى.

ومنهم من قال: وقت أذكار الصباح من الفجر إلى الزوال -يعني دخول وقت الظهر- ووقت أذكار المساء من زوال الشمس إلى غروب الشمس، وفي أول الليل.

وهذا ما نصت عليه اللجنة الدائمة حيث قالت:

«أذكار المساء تبتدئ من زوال الشمس إلى غروبها، وفي أول الليل، وأذكار الصباح تبتدئ من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] والآصال جمع أصيل، وهو: ما بين العصر والمغرب.

وقال سبحانه: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٨]»[1].

---

(١) فتاوى اللجنة (٢٤/ ١٧٨١٧٩).

ومنهــم من قال: الصباح من نصف الليــل الأخير إلى الزوال، ثم المســاء من الزوال إلى آخر نصف الليل الأول، نقله ابن علان في الفتوحات الربانية عن السيوطي[1].

وقيــل: أذكار الصبــاح من طلوع الفجر إلى غروب الشــمس، والمســاء مــن الغــروب إلى الفجر، وهــو اختيار ابن الجــزري[2]، واختــار أنهــا تبدأ من الغروب الســندي أيضاً في حاشــيته على ابن ماجة (١/ ٢٨٤) والمباركفوري في شرح المشكاة (٨/ ١١١).

وقــال ابن عثيمين -رحمــه الله-: «أذكار الصباح أذكارٌ مضافة إلى الصبــاح وهذه إضافةٌ بمعنــى (في) فإذا قلنا أذكار الصباح فهو بمنزلــة قولنــا (أذكارٌ في الصبــاح)؛ فيكون محلها مــن حين طلوع الفجر إلى أن تشرق الشــمس، فــإذا كان الضحى انتهى الإصباح، وكذلــك في المســاء أذكار المســاء يعني أذكارٌ تكون في المســاء، والمســاء من صلاة العصر إلى هزيعٍ من الليل[3] كل ذلك يســمى مســاءً، لكــن مــا قُيِّــد في الليل فهــو في الليــل كآية الكــرسي مثلاً، وكذلك الآيتان آخر سورة البقرة.

فــما قيــد في الليل فهو في الليل، وما قيد في المســاء فهو أوســع وأشمل، يكون من صلاة العصر إلى هزيع من الليل»[4].

---

(١) الفتوحات الربانية (٣/ ٧٣).

(٢) تحفة الذاكرين (ص٩١).

(٣) هزيع من الليل أي طائفة منه، نحو ثلثه وربعه. لسان العرب (٨/ ٣٧٠).

(٤) فتاوى نور على الدرب (١٢/ ٣٤٢).

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «والظاهر أن المراد في الأحاديث بالمساء أوائل الليل، وبالصباح أوائل النهار».

فعلى العبد أن يحرص على الإتيان بأذكار الصباح في الوقت ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإن فاته ذلك فلا بأس أن يأتي بها إلى نهاية وقت الضحى وهو قبل صلاة الظهر بقليل، ووقت الضحى ينتهي قبيل الزوال بربع ساعة تقريباً.

وأن يأتي بأذكار المساء في الوقت ما بين صلاة العصر إلى المغرب، فإن فاته فلا بأس أن يأتي بها إلى ثلث الليل.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «الظاهر أنه لو قال أذكار الصباح والمساء أثناء النهار أو الليل لا تحصل تلك الفائدة، وعظيم بركة الذكر يقتضي الحصول»[1].

❊ ❊ ❊

مِنَ الأزمان التي يُشرع فيها الذكر والدعاء أوقات الصلاة:

ومن تلك الأذكار:

- إجابة المؤذن:

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إذا سمعتم النّداءَ فقولوا مثلَ ما يقولُ المؤذّنُ**»[2].

فيستحب لمن يسمع المؤذن أن يقول ما يقول إلّا في الحيعلتينِ

(١) الفتوحات الربانية (٣/ ٧٤).

(٢) متفق عليه.

فإنّهُ يقول: لا حول ولا قوّة إلّا باللهِ، أي لا حركة ولا استطاعة لي إلّا بمشيئةِ الله.

وذلك لأن معنى الحيعلتينِ: هلمَّ إلى الهدى عاجلاً والفوز بالنّعيمِ آجلاً.

فناسبَ أن يقول: هذا أمرٌ عظيمٌ لا أستطيعُ معَ ضعفي القيام بهِ إلّا إذا وفّقني الله بحولهِ وقوّتهِ[1].

وفي متابعة المؤذِّنِ دليلٌ على رحمة الله، وسعة فضله؛ لأن المؤذِّنين لما نالوا ما نالوه من أجر الأذان شُرِع لغير المؤذِّن أن يتابعه؛ لينال أجراً كما نال المؤذِّن أجراً.

ولهذا نظائر، فمن ذلك: أنَّ الحُجّاج يذبحون الهدايا يوم النَّحر، وغيرهم ممن لم يحجَّ شُرِع لهم ذبح الأضاحي، وكذلك الحجّاج إذا أحرموا تركوا الترفُّه فلا يحلقون شعر الرَّأس، وغيرهم من أهل الأضاحي لا يأخذون من شعورهم[2].

من فوائد الحوقلة:

يقول ابن القيم: «وأمّا تأثيرُ (لا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ) في دفعِ هذا الدّاءِ -يعني الهمَّ والغمَّ- فلما فيها من كمالِ التّفويضِ، والتّبرّي منَ الحولِ والقوّةِ إلّا بهِ وتسليمِ الأمرِ كلّهِ لهُ، وعدمِ منازعتهِ في شيءٍ منهُ، وعموم ذلكَ لكلِّ تحوّلٍ من حالٍ إلى

(١) انظر: فتح الباري (٢/ ٩٢).

(٢) الشرح الممتع (٢/ ٨٥٨٦).

حـالٍ في العالمِ العلويِّ والسّـفليِّ، والقوّة على ذلـكَ التّحوّلِ، وأنَّ ذلـكَ كلّـهُ باللهِ وحدهُ؛ فـلا يقومُ لهذهِ الكلمـةِ شيءٌ. وفي بعـضِ الآثارِ: إنّـهُ ما ينزلُ ملـكٌ منَ السّـماءِ، ولا يصعدُ إليها إلّا بــ«لا حـولَ ولا قوّةَ إلّا بـالله»، ولها تأثـيرٌ عجيبٌ في طردِ الشّيطانِ»[1].

فائدة في ختم الحوقلة المطلقة بالعزيز الحكيم:

المشهور عند الناس ختم الحوقلة بـ«العلي العظيم» والصحيح الثابـت ما ورد في صحيح مسـلم من ختمهـا بـ«العزيز الحكيم»؛ فعن سـعد بن أبي وقاص ﷺ قال: جاءَ أعرابيٌّ إلى رسـولِ اللهِ ﷺ فقال: علّمني كلاماً أقولهُ قال: «**قل: لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ الله أكبرُ كبيراً والحمدُ للهِ كثيراً سبحانَ اللهِ ربِّ العالمينَ لا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العزيزِ الحكيمِ**»[2].

وقـد روى أبـو داود (٨٣٢) من طريق أبي خالـدِ الدّالانيِّ، عن إبراهيمَ السّكسـكيِّ، عن عبـدِ اللهِ بنِ أبي أوفى، قال: جاءَ رجـلٌ إلى النّبيِّ ﷺ فقال: إنّي لا أسـتطيعُ أن آخـذَ منَ القرآنِ شـيئاً فعلّمني ما يجزئني منهُ، قال: «**قل: سـبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلـهَ إلّا الله، والله أكبرُ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيـمِ**». وحسـنه الألبـاني في صحيـح أبي داود، ولكـن في

(١) زاد المعاد (٤/ ١٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٦).

إسناده أبو خالد الدالاني يزيد بن عبد الرحمن، قال الحافظ: «صدوق يخطئ كثيراً، وكان يدلس»[1]. ورواه الإمام أحمد (١٨٦٣١) والحميدي (٧٣٤) من طريقه فاقتصر على قوله «لا حول ولا قوة إلا بالله». وقد رواه حجاج بن أرطاة عند ابن أبي شيبة (٦/ ١٠٠) ومعمر بن راشد عند ابن خزيمة (٥٤٤) ومسعر عند النسائي (٩٢٤) والحاكم (٨٨٠) والمسعودي عند البيهقي (٣٩٧٧) كلهم عن السكسكي به، دون قوله «العلي العظيم» وهو المحفوظ.

وعند ابن ماجه (٣٨٧٨) عن عبادةَ بنِ الصّامتِ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من تعارَّ من اللّيلِ فقال حينَ يستيقظُ: لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا الله والله أكبرُ ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيمِ، ثمَّ دعا ربِّ اغفر لي غفرَ لهُ». وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

والحديث رواه البخاري (١١٥٤) وأحمد (٢٢١٦٥) وأبو داود (٥٠٦٠) والترمذي (٣٤١٤) بلفظ: «لا حول ولا قوة إلا بالله» بدون قوله: «العلي العظيم».

فالحاصل: أن ثبوت ختم الحوقلة بـ«العزيز الحكيم» هو المحفوظ.

(١) تقريب التهذيب (ص٦٣٦).

وختمها بالعزيز الحكيم أنسب، لأن العزيز من لا يغالب أمره، ولا حول ولا قوة معه، ومع ذلك فهو حكيم يضع الشيء موضعه على مقتضى الحكمة[1].

- الذكر بعد سماع النداء:

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**من قال حينَ يسمعُ النّداءَ: اللهمَّ ربَّ هذهِ الدّعوةِ التّامّةِ، والصّلاةِ القائمةِ، آتِ محمّداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثهُ مقاماً محموداً الّذي وعدتهُ، حلّت لهُ شفاعتي يومَ القيامةِ**»[2].

قولـه: «حينَ يسمعُ النّداءَ» أي الأذانَ، والمرادُ حينَ يسمعُ النّداءَ بتمامِهِ، ففي هذا أنَّ ذلكَ يقالُ عندَ فراغِ الأذانِ.

«اللهمَّ ربَّ هذهِ الدّعوةِ التّامّةِ» المرادُ بالدّعوةِ هاهنا ألفاظُ الأذانِ الّتي يدعى بها الشّخصُ إلى عبادةِ اللهِ تعالى[3].

وسَمّى الأذان دعوةً؛ لأنه يدعو إلى الصلاة والذكر.

ووَصَفَها بالتّامة؛ لاشتمالها على تعظيم الله وتوحيده، والشهادة بالرسالة، والدعوة إلى الخير.

«والصَّلاةِ القائِمَةِ» أَي الَّتِي ستُقام.

---

(١) الفتوحات الربانية (١/ ٢٢٥).

(٢) رواه البخاري (٦١٤).

(٣) عمدة القاري (٥/ ١٢٢).

«آتِ محمّداً الوسـيلةَ»: قد فسّرها النّبيُّ ﷺ بقولِهِ: «فإنّها منزلةٌ في الجنّةِ لا تنبغي إلّا لعبدٍ من عبادِ اللهِ»[1].

«والفضيلةَ» هي المنقبة العالية التي لا يشاركه فيها أحد.

«مقامـاً محمـوداً» أي يحمـدُ القائمُ فيـهِ، وهوَ مطلـقٌ في كلِّ ما يجلبُ الحمدَ من أنواعِ الكراماتِ.

والأكثرُ على أنَّ المرادَ بالمقامِ المحمودِ الشّفاعةُ.

«إلّا حلّـت لـهُ الشّـفاعةُ» أي اسـتحقّت ووجبـت أو نزلـت عليهِ[2].

قال القاري في المرقاةِ: «وأمّا زيادةُ الدّرجةِ الرّفيعةِ المشهورةُ على الألسنةِ فقال السّخاويُّ: لم أرهُ في شيءٍ من الرّواياتِ»[3].

فائدة: الجمع بين (نبياً) و(رسولاً):

عن سـعدِ بنِ أبي وقّاصٍ عن رسـولِ اللهِ ﷺ أنّهُ قال: «من قال حينَ يسـمعُ المؤذّنَ: وأنا أشـهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لـهُ وأنَّ محمّـداً عبدهُ ورسـولهُ رضيتُ بـاللهِ ربّاً وبمحمّدٍ رسـولاً وبالإسلامِ ديناً غفرَ لهُ ذنبهُ»[4].

وعنـد ابن ماجـه (٧٢١): «من قال حينَ يسـمعُ المـؤذّنَ: وأنا

---

(١) رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٢/ ٩٥).

(٣) مرقاة المفاتيح (٢/ ٥٦١).

(٤) رواه مسلم (٣٨٦).

أشـهدُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ وأشـهدُ أنَّ محمّداً عبدهُ ورسـولهُ رضيـتُ باللهِ ربّاً وبالإسـلامِ دينـاً وبمحمّدٍ نبيّـاً غفرَ لهُ ذنبهُ» وصححه الألباني. وأكثر الروايات بلفظ مسلم.

وقوله: «رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً» أي رضيت بربوبيته، وذلك يشـمل الرضا بالأحكام الشرعية والقضايا الكونية.

وذهـب بعـض أهـل العلـم إلى أن الأفضل الجمـع بين لفظ «نبيّـاً» و«رَسـولاً». والأَولى الاقتصـار على أحدهمـا، وأصحهما «رَسـولاً»؛ حيـث لم ترد رواية صحيحة -فيـما نعلم- جَمعت بين اللفظين.

والرضـا بمحمد ﷺ نبياً ورسـولاً معنـاه: تصديقه فيما أخبر، وطاعتـه فيما أمـر، والانتهاء عما نهى عنه وزجـر، وتَقَدُّم قولِه ﷺ على قولِ كلّ أحدٍ كائنا مَن كان.

«وَبِالإِسـلامِ دِينـاً»: فيـه التـبرؤ من سـائر الأديـان كاليهودية والنصرانية وغيرها.

◦ متى يقول هذا الذكر؟

هل يقوله بعد الفراغ من الأذان؟ أم يقوله عقب تشهد المؤذن؟

الراجح الثاني؛ لما وقع في رواية الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١٤٥): «من قال حينَ يسمعُ المؤذّنَ يتشهّدُ...»

صححـه الألباني وقال: «وفيه هذه الزيادة التي تعين متى يقال

هـذا الدعـاء، وهو حين يتشـهد المـؤذن. وهي زيـادة عزيزة قلما توجد في كتاب فتشبث بها»[١].

وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «وفي قوله: «وأنا أشـهد» دليلٌ عـلى أنه يقولها عقب قول المؤذِّن: «أشـهد أن لا إله إلا الله»؛ لأنَّ الـواو حرف عطف، فيعطف قولَه عـلى قولِ المؤذِّن. فإذاً: يوجد ذِكرٌ مشروع أثناء الأذان» [٢].

هـل يقوله بعد قول المؤذن: «أشـهد أن لا إلـه إلا الله» أم بعد قوله: «أشهد أن محمداً رسول الله»؟

الراجح: الثاني.

سـئل الشـيخ ابن عثيمـين: ورد في الحديث أن الإنسـان يقول عند متابعته للمؤذن «رضيت بالله ربا، وبالإسـلام دينا، وبمحمد رسولاً» فمتى يقول هذا؟

فأجـاب بقوله: «ظاهـر الحديث أن المؤذن إذا قال أشـهد أن لا إله إلا الله وأشـهد أن محمدا رسول الله وأجبته تقول بعد ذلك: «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»[٣].

- دعاء الخروج إلى الصلاة:

عن عبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما في قصة وصفه لتهجد الرسول ﷺ لما

(١) الثمر المستطاب (ص١٨٣).
(٢) الشرح الممتع (٢/ ٨٦).
(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٢/ ١٧٠).

بات عند خالته ميمونة قال: ... فأذَّنَ المؤذِّنُ -أي لصلاة الصبح- فخرجَ إلى الصَّلاةِ وهوَ يقولُ: «اللهمَّ اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهمَّ أعطني نوراً»[1].

قوله: «اللهمَّ اجعل في قلبي نوراً» قال الكرمانيُّ: التّنوين فيها للتّعظيمِ أي نوراً عظيماً[2].

قال العلماءُ: سألَ النّورَ في أعضائهِ وجهاتهِ والمرادُ بهِ بيانُ الحقِّ وضياؤهُ والهدايةُ إليهِ، فسألَ النّورَ في جميعِ أعضائهِ وجسمهِ وتصرّفاتهِ وتقلّباتهِ وحالاتهِ وجملتهِ في جهاتهِ السّتِّ حتّى لا يزيغَ شيءٌ منها عنهُ[3].

وهذا الدعاء يقال عند الذهاب إلى المسجد، وهذا مناسب غاية المناسبة مع قوله ﷺ «والصَّلاةُ نُورٌ»[4].

فلما كانت الصلاة نوراً للمسلم في دنياه وآخرته، كان من المناسب وهو ذاهب إلى هذه الصلاة أن يسأل الله أن يُعظم حظه من هذا النور في جسمه كله، وأن يجعله محيطاً به من جميع جوانبه[5].

(١) رواه البخاري (٦٣١٦) ومسلم (٧٦٣) - واللفظ له .
(٢) فتح الباري (١١/ ١١٧).
(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ٤٥).
(٤) رواه مسلم (٢٢٣).
(٥) فقه الأدعية والأذكار (٣/ ١١٨).

وإذا أراد الإنسان الدخول في الصلاة وجب عليه أن يقول: الله أكبر.

والحكمة في افتتاح الصلاة بالتكبير تنبيه المصلي على عِظم مَن قام لأداء العبادة له، وأنه أكبر من كل كبير، وأن كل ما سواه حقير صغير.

قال ابن القيم: «لمّا كان المصلي قد تَخلّى عن الشواغل وقَطَع جميع العلائق، وتطهّر وأخذ زينته وتهيأ للدخول على الله تعالى ومناجاته، شُرع له أن يدخل عليه دخولَ العبيد على الملوك، فيدخل بالتعظيم والإجلال، فشُرع له أبلغُ لفظ يدل على هذا المعنى، وهو قول «الله أكبر»، فإن في اللفظ من التعظيم والتخصيص والإطلاق ما لا يوجد في غيره، ولهذا كان الصواب أن غير هذا اللفظ لا يقوم مقامه ولا يؤدي معناه ولا تنعقد الصلاة إلا به... فإنه إذا استشعر بقلبه أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال استحيا منه أن يشغل قلبه في الصلاة بغيره، فلا يكون موفياً لمعنى الله أكبر ولا مؤدياً لحق هذا اللفظ ولا أتى البيت من بابه، بل الباب عنه مسدود.

وهذا بإجماع السلف: أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها وحضره بقلبه.

والمقصود أنه قبيح بالعبد أن يقول بلسانه: الله أكبر، وقد امتلأ قلبه بغير الله؛ فهو قبلة قلبه في الصلاة، ولعله لا يحضر بين يدي ربه في شيء منها.

فلـو قضى حق الله وأتى البيت من بابه لدخل وانصرف بأنواع التحـف والخيرات. فهذا البـاب الذي يدخل منـه المصلي، وهو التحريم»[1].

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مفتاحُ الصّلاةِ الطّهورُ وتحريمها التّكبيرُ وتحليلها التّسليمُ**»[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-: قوله: «وتحريمها التّكبير» دليل بيّن أنّـهُ لا تحريم لها إلّا التّكبير. وهذا قول الجمهور وعامّة أهل العلم قديماً وحديثاً، فيتعيّن «الله أكبر»...

فـإذا قيـلَ: «الله أكبر» كانَ معنـاهُ: من كلّ شيء. وأمّـا إذا قيلَ «الله الأكـبر» فإنّهُ يتقيّد معناهُ ويتخصّص ولا يسـتعمل هذا إلّا في مفضّل عليهِ معيّن، كما إذا قيلَ: من أفضل أزيد أم عمرو؟ فيقول: زيد الأفضل. هذا هوَ المعروف في اللّغة والاستعمال.

وهـذا المعنـى مطلوب من القائل: «الله أكـبر» بدليلِ ما روى التّرمـذيّ مـن حديث عديٍّ بـنِ حاتمٍ الطّويـل: أنَّ النّبيّ ﷺ قال لهُ «ما يضرّكَ أيضرّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شـيئاً أكبر من الله؟»[3] وهـذا مطابق لقولهِ تعـالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ وهذا يقتضي جواباً: لا شيء أكبر شهادة من الله فاللهّ أكبر شهادة من كلّ

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٦).

(٢) رواه أبو داود (٦١) والترمذي (٣) وابن ماجة (٢٧٥) وصححه الألباني.

(٣) رواه الترمذي (٢٩٥٤) وحسنه.

شيء. كما أنَّ قوله لعديٍّ «هل تعلم شيئاً أكبر من الله؟» يقتضي جواباً: لا شيء أكبر من الله فالله أكبر من كلّ شيء.

وفي افتتاح الصّلاة بهذا اللّفظ المقصود منهُ: استحضار هذا المعنى، وتصوّره؛ فإنَّ العبد إذا وقفَ بين يدي الله عزَّ وجلَّ وقد علمَ أن لا شيء أكبر منهُ، وتحقّقَ قلبه ذلكَ، وأشربهُ سرّه استحى من الله ومنعهُ وقاره وكبرياؤهُ أن يشغل قلبه بغيرِهِ، ومن لم يستحضر هذا المعنى فهوَ واقف بين يديهِ بجسمِهِ، وقلبه يهيم في أودية الوساوس والخطرات.

فلو كانَ الله أكبر من كلّ شيء في قلب هذا لما اشتغلَ عنهُ، وصرفَ كلّيّة قلبه إلى غيره كما أنَّ الواقف بين يدي الملك المخلوق لّما لم يكن في قلبه أعظم منهُ لم يشغل قلبه بغيرِهِ ولم يصرفهُ عنهُ صارف»(١).

فاستحضار المصلي معاني الأذكار من تمام تعظيم الرب تعالى وتمجيده.

◦ دعاء الاستفتاح:

عن أبي هريرة ﷺ قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يسكتُ بينَ التّكبيرِ وبينَ القراءةِ هنيّةً، فقلتُ: بأبي وأمّي يا رسولَ اللهِ إسكاتكَ بينَ التّكبيرِ والقراءةِ ما تقولُ؟ قال أقولُ: «**اللهمَّ باعد بيني وبينَ خطايايَ كما باعدتَ بينَ المشرقِ والمغربِ، اللهمَّ نقّني من**

(١) تهذيب السنن (١/ ٢٠٢٣).

الخطايا كما ينقّى الثّوبُ الأبيضُ من الدّنسِ، اللهمَّ اغسل خطاياي بالماءِ والثّلجِ والبردِ»[1].

قوله: «اللهمَّ باعِد بيني وبين خَطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»: المباعدة بين المشرق والمغرب هو غاية ما يبالغ به النّاسُ، فالنّاسُ يبالغون في الشيئين المتباعدين إمّا بما بين السماء والأرض، وإما بما بين المشرقِ والمغربِ، ومعنى «باعِد بيني وبين خَطاياي» أي: باعِد بيني وبين فِعلِها بحيث لا أَفعَلُها، وباعِد بيني وبين عقوبتِها إذا فعلتُها.

وقوله: «اللهمَّ نقِّني مِن خطاياي كما يُنقَّى الثوبُ الأبيضُ مِن الدَّنس» وإنما ذَكَرَ الأبيضَ؛ لأن الأبيض هو أشدُّ ما يؤثِّر فيه الوسخ.

فسأل إزالةَ آثار خطاياه بزيادة التطهير بالماء والثَّلج والبَرَدِ، فالماء لا شَكَّ أنه مطهِّرٌ، لكن الثَّلجُ والبَرَدُ مناسبته هنا أنَّ الذُّنوب آثارها العذابُ بالنّارِ، والنّارُ حارَّة، والحرارةُ يناسبها في التنقية منها الشيء البارد، فالماء فيه التنظيف، والثَّلجُ والبَرَدُ فيهما التبريدُ[2].



ونجد التناسب الواضح بين الأذكار ومواضعها:

فيقول المصلي في ركوعه: سبحان ربي العظيم. لما روى أبو

(١) رواه البخاري (٧٤٤) ومسلم (٥٩٨).

(٢) انظر: الشرح الممتع (٣/ ٥٠).

داود عن عقبةَ بنِ عامرٍ قال: لَمّا نزلت ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»[1].

وعن حذيفةَ بنِ اليمانِ أنّهُ سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ إذا ركعَ: سبحانَ ربّيَ العظيمِ - ثلاثَ مرّاتٍ[2].

العظيم في ذاتِهِ وصفاتِهِ، فإنه سبحانه وتعالى أعظم مِن كلِّ شيء.

فيشرع للراكع أن يُنزِّه الله سبحانه وتعالى، ويصفه بعد تنزيهه بأمرين كمالين كاملين وهما: الربوبية والعظمة، فيجتمع مِن هذا الذِّكرِ: التَّنزيه والتَّعظيم.

والتَّنزيه والتَّعظيم باللسان تعظيم قوليٌّ، وبالرُّكوع تعظيم فعليٌّ، فيكون الراكع جامعاً بين التعظيمين: القوليّ والفعليّ.

ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «ألا وإنّي نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، أمّا الركوع فعظِّموا فيه الرَّب»[3].

ولَمّا كان القرآنُ أشرفَ الذِّكرِ؛ لم يُناسب أن يقرأه الإنسانُ وهو في هذا الانحناء، إنما يُقرأ في حال القيام.

وعند الرفع من الركوع يقول: «سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه».

ومعنى «سَمِعَ» أي: استجابَ.

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٩) وحسنه النووي، وضعفه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجة (٨٨٨) وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٤٧٩).

والحَمد: وَصفُ المحمود بالكمال مع المحبَّة والتَّعظيم.

فيُقال: حَمِدَ فلانٌ رَبَّه، أي: وَصَفَه بصفات الكمال مع محبَّته وتعظيمه.

وبهذا يُعرف الفَرقُ بين الحَمدِ والمدح؛ فإنَّ المدحَ: وَصفُ الممدوح بالكمال، أو بالصِّفات الحميدة، لكن لا يلزم منه أن يكون محبوباً معظَّماً، فقد يمدحُه مِن أجل أن ينالَ غَرَضاً له، وقد يمدحُه مِن أجل أن يتَّقي شَرَّه، لكن الحمد لا يكون إلا مع محبَّةٍ وتعظيمٍ.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «الصواب في الفرق بين الحمد والمدح أن يقال: الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخبارا مجرّدا من حب وإرادة أو مقرونا بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح وإن كان الثاني فهو الحمد، فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرا يتضمن الإنشاء، بخلاف المدح فإنه خبر مجرد»[1].

وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا رفعَ رأسهُ من الرّكوعِ قال: **«اللهمَّ ربّنا لكَ الحمد ملءَ[2] السّماواتِ والأرضِ وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ، أهلَ الثّناءِ والمجدِ، أحقُّ ما قال العبدُ وكلّنا لكَ عبدٌ، اللهمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ ولا معطيَ لما منعتَ ولا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ»**[3].

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٩٣).

(٢) بنصب الهمزة ورفعها، والنصب أشهر. قاله النووي في شرح مسلم (٤/ ١٩٣).

(٣) رواه مسلم (٤٧٧).

قوله: «ربّنا لكَ الحمد ملء السّماواتِ والأرضِ وملء ما شئتَ من شيءٍ بعدُ»: فهو يحمد الله حمداً يملأ العالم العلوي والسفلي والفضاء الذي بينهما، فهذا الحمد يملأ جميع الخلق الموجود.

وقوله: «أهلَ الثَّناء والحَمدُ» أي: رَبَّنا أنت أهل أن يُثنَى عليك وتُمجّد لعظمة صفاتك وكمال نعوتك وتَوالي نعمك وكثرة آلائك.

قوله: «أحقُّ ما قال العبد وكلّنا لك عبدُ»: في هذا الكلام دليل ظاهر على فضيلة هذا اللّفظ؛ فقد أخبرَ النّبيّ ﷺ أنَّ هذا أحقُّ ما قالهُ العبد، فينبغي أن يحافظ عليهِ.

وإنّما كانَ أحقَّ ما قالهُ العبد لما فيهِ من التّفويض إلى الله تعالى، والإذعان لهُ والاعتراف بوحدانيّتهِ، والتّصريح بأنّهُ لا حول ولا قوّة إلّا بهِ، وأنَّ الخير والشّرّ منهُ والحثّ على الزّهادة في الدّنيا والإقبال على الأعمال الصّالحة[1].

«لا مانعَ لما أعطيتَ ولا معطيَ لما منعتُ»: فيه الاعتراف بتفرد الله بالعطاء والمنع والقبض والبسط والخفض والرفع، فما يكتبه لعبده من خير ونعمة فلا راد له ولا مانع لوقوعه، وما يمنعه عن عبده من الخير والنعمة فلا سبيل لوقوعه.

«ولا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ»: الجدّ هوَ الحظّ والغنى والعظمة والسّلطان أي لا ينفع ذا الحظّ في الدّنيا بالمالِ والولد والعظمة

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٩٦).

والسّلطان منك حظّه، أي لا ينجيه حظّه منك، وإنّما ينفعهُ وينجيه العمل الصّالح[1].

ويقول حال السُّجودِ: «سبحان ربي الأعلى»:

دون أن يقول: «سبحان رَبِّيَ العظيم»؛ لأن ذِكرَ علوِّ الله هنا أنسب من ذكر العظمة، لأن الإنسان الآن أنزل ما يكون، لذا كان من المناسب أن يُثني على الله بالعلو.

فانظر إلى الحكمة والمناسبة في مثل ذلك، وكيف أن الصَّحابةُ كانوا في السفر إذا علوا شيئاً كَبَّروا، وإذا هبطوا وادياً سَبَّحوا؛ لأن الإنسان إذا علا وارتفع قد يتعاظم في نفسه ويتكبَّر ويعلو، فناسبَ أن يقول: «الله أكبر» لِيُذكِّرَ نفسَه بكبرياء الله عزَّ وجلَّ.

أما إذا نزل فإن النزول نقص، فكان ذِكرُ التسبيح أولى؛ لتنزيه الله عزَّ وجلَّ عن النقص الذي كان فيه الآن، فكان من المناسب أن يُذَكِّرَ الإنسانُ نفسَه بِمَن هو أعلى منها.

وكان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سبّوحٌ قدّوسٌ ربُّ الملائكةِ والرّوحِ»[2].

«سُبُّوحٌ»: أي مبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق بالإلهية.

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٩٦).
(٢) رواه مسلم (٤٨٧).

«قُدُّوسٌ»: أي مطهر من كل ما لا يليق بالخالق[1].

«ربُّ الملائكةِ والرّوحِ»: والروح هو جبريل -عليه السلام-، خُصّ بالذكر تفضيلا له على سائر الملائكة.

ويقول في الجلوس بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني واهدني وعافني وارزقني»[2].

فيسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفرَ له الذُّنوبَ كلَّها الصغائر والكبائر.

والمغفرة هي: ستر الذَّنبِ والعفو عنه، مأخوذة من المِغفر الذي يكون على رأس الإنسان عند الحَربِ يتَّقي به السهام.

وجَمع بين طلب الرحمة والمغفرة، فتُطلب -رحمة الله- التي بها حصول المطلوب، وتطلب بالمغفرة زوال المرهوب، هذا إذا جُمع بينهما.

أما إذا افترقا؛ فإنَّ كُلَّ واحدة منهما تشمَلُ الأخرى.

«واجبرني» الجَبرُ يكون من النَّقصِ، وكلُّ إنسان ناقص مفرِّط مُسِرفٌ على نفسه بتجاوز الحدِّ أو بالتقصير، فهو يحتاج مع المغفرة والرحمة جبراً يجبر به نقصه.

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٠٥).

(٢) رواه أبو داود (٨٥٠) والترمذي (٢٨٤) وابن ماجة (٨٩٨)، يزيد بعضهم على بعض، راجع: صفة الصلاة (ص١٥٣).

«وعافني» أي: أعطني العافية مِن كلِّ مرضٍ ديني أو بدني، ثم إن كان متَّصفاً بهذا المرض؛ فهو دعاء برَفعِهِ، وإن كان غير متَّصف فهو دعاء بدَفعِهِ، بحيث لا يتعرَّض له في المستقبل.

فينبغي للإنسان إذا سأل العافية في هذا المكان أو غيره أن يستحضر أن يسأل الله عافية البدن، وعافية الدِّين.

وأما قوله: «وارزقني» فهو طلب الرزق، وهو ما يقوم به البدن، وما يقوم به الدِّين:

ما يقوم به البدن من طعام وشراب ولباس وسَكَنٍ.

وما يقوم به الدِّين من عِلمٍ وإيمانٍ وعَمَلٍ صالح.

والإنسان ينبغي له أن يعوِّد نفسَه استحضار هذه المعاني العظيمة حتى يحصل له النفع وزيادة الإيمان.

فهذا الدعاء اشتمل على:

- سؤال المغفرة التي يكون بها الوقاية من شر الذنوب.
- وسؤال الرحمة وفيه تحصيل الخير والبر والإحسان.
- وسؤال الله أن يجبره بسدّ حاجته وجبر كسره ونقصه، وأن يعوضه ما فاته من الخير.
- وسؤال الرفعة في الدارين.
- وسؤال الهداية بالتوصل إلى أبواب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

- وسؤال العافية بالسلامة من الآفات والفتن والنجاة من البلايا والمحن.
- وسؤال الرزق بنيل ما به قوام البدن والروح.

فجاء هذا الدعاء العظيم جامعا لأصول السعادة محيطا بأبواب الخير مشتملا على سبل الفلاح في الدنيا والآخرة، فما أعظمه من دعاء وما أحسن إحاطته وجمعه.

ومما كان النبي ﷺ يدعو به بين التشهد والتسليم: «اللهمَّ بعلمكَ الغيبَ وقدرتكَ على الخلقِ أحيني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي وتوفّني إذا علمتَ الوفاةَ خيراً لي، اللهمَّ وأسألكَ خشيتكَ في الغيبِ والشّهادةِ، وأسألكَ كلمةَ الحقِّ في الرّضا والغضبِ، وأسألكَ القصدَ في الفقرِ والغنى، وأسألكَ نعيماً لا ينفدُ، وأسألكَ قرّةَ عينٍ لا تنقطعُ، وأسألكَ الرّضاءَ بعدَ القضاءِ، وأسألكَ بردَ العيشِ بعدَ الموتِ، وأسألكَ لذّةَ النّظرِ إلى وجهكَ والشّوقَ إلى لقائكَ في غيرِ ضرّاءَ مضرّةٍ ولا فتنةٍ مضلّةٍ، اللهمَّ زيّنّا بزينةِ الإيمانِ واجعلنا هداةً مهتدينَ»[1].

وهذا الدعاء عظيم النفع لاشتماله على معان عظيمة ودلالات نافعة، ولنقف على بعض معانيه:

قوله: «اللهمَّ بعلمكَ الغيبَ وقدرتكَ على الخلقِ أحيني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي وتوفّني إذا علمتَ الوفاةَ خيراً لي»: فيه

(١) رواه النسائي (١٣٠٥) وصححه الألباني.

تفويض العبد أموره إلى خالقه، فهو يتوسل إليه بعلمه الذي أحاط بكل شيء وقدرته النافذة على كل الخلق أن يختار له الخير حيث كان.

«وأسألكَ خشيتكَ في الغيبِ والشّهادةِ»: أي أن أخشاك في السر والعلانية والظاهر والباطن.

«وأسألكَ كلمةَ الحقِّ في الرّضا والغضبِ»: وقول الحق في حال الغضب من الأمور العزيزة في الناس؛ لأن الغضب يحمل صاحبه على أن يقول خلاف الحق.

«وأسألكَ القصدَ في الفقرِ والغنى»: القصد هو التوسط والاعتدال، فإن كان فقيراً لم يقتر خوفاً من نفاد الرزق، وإن كان غنيا لم يسرف ولم يبذر.

«وأسألكَ نعيماً لا ينفدُ»: والنعيم الذي لا ينفد هو نعيم الآخرة.

«وأسألكَ قرّةَ عينٍ لا تنقطعُ»: والمؤمن لا تقر عينه في الدنيا إلا بمحبة الله وذكره والمحافظة على طاعته «وجعلت قرة عيني في الصلاة».

«وأسألكَ الرّضاءَ بعدَ القضاءِ»: والرضا لا يتحقق إلا إذا وقع القضاء، وأما قبل وقوعه فهو مجرد عزم من العبد على الرضا.

«وَأسأَلُكَ بَردَ العَيشِ بَعدَ المَوتِ»: فالعيش قبل الموت منغّص، وطِيب العيش لا يكون إلا بعد الموت.

«وأسألكَ لـذّةَ النّظرِ إلى وجهـكَ والشّـوقَ إلى لقائكَ في غيرِ ضرّاءَ مـضرّةٍ ولا فتنةٍ مضلّةٍ»: جمع في هذا الدعاء بين أطيب شيء في الدنيـا وهو الشـوق إلى لقاء الله، وأطيـب شيء في الآخرة وهو النظـر إلى وجهه الكريم، ولكن تمام هـذا النعيم متوقف على عدم وجـود مـا يضره في دنيـاه أو يفتنـه في دينه؛ ولذلك قـال: «في غيرِ ضرّاءَ مضرّةٍ ولا فتنةٍ مضلّةٍ».

«اللهـمَّ زيّنّـا بزينةِ الإيـمانِ»: زينـة الإيمان تشـمل زينة القلب بالاعتقاد السليم، واللسـان بالذكر والتلاوة، والجوارح بالأعمال الصالحة.

«واجعلنـا هـداةً مهتديـنَ»: فاهدنـا، واهـدِ بنا، وهـذا أفضل الدرجات.

وإذا فرغ من صلاته قال: السلام عليكم ورحمة الله.

فكما افتتح صلاته باسـم الله «الله أكبر» كذلك يختمها باسم الله «السلام عليكم»؛ فإن السلام من أسماء الله.

قـال ابن القيـم: «فيكون مفتتحا لصلاته باسـمه تبارك وتعالى ومختتما لها باسـمه، فيكون ذاكرا لاسـم ربه أول الصلاة وآخرها، فأولهـا باسـمه وآخرها باسـمه، فدخل فيها باسـمه وخـرج منها باسـمه، مع ما في اسـم السـلام من الخاصيـة والحكمة المناسـبة لانـصراف المصلي من بين يدي الله تعالى؛ فـإن المصلي ما دام في صلاتـه بين يدي ربه فهو في حِماه الذي لا يسـتطيع أحدٌ أن يخفره،

بـل هو في حمىً من جميـع الآفات والشرور، فـإذا انصرف من بين يديـه تبارك وتعالى ابتدرته الآفات والبلايا والمحن وتعرضت له من كل جانب، وجاءه الشـيطان بمصائـده وجنده؛ فهو متعرض لأنـواع البلايـا والمحن، فإذا انصرف من بين يـدي الله مصحوبا بالسـلام لم يـزل عليـه حافظ مـن الله إلى وقت الصـلاة الأخرى، وكان مـن تمـام النعمة عليـه أن يكـون انصرافه من بـين يدي ربه بسلام يستصحبه ويدوم له ويبقى معه»[1].

وإذا جاءك الشيطان في الصلاة علّمك كيف تردّ كيده:

عن عثمانَ بن أبي العاصِ ﷺ أنّه أتى النّبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ إنَّ الشّـيطانَ قد حالَ بيني وبينَ صلاتي وقراءتي يلبسـها عليَّ؟ فقال رسـولُ اللهِ ﷺ: **«ذاكَ شـيطانٌ يقالُ لهُ خنزبٌ، فإذا أحسستهُ فتعوّذ باللهِ منهُ واتفل على يساركَ ثلاثاً»**.

قال: ففعلتُ ذلكَ فأذهبهُ الله عنّي[2].

قـال النـووي -رحمـه الله-: «أمّـا (خنـزبٌ) فبخـاءٍ معجمـة مكسـورة ثمَّ نون سـاكنة ثمَّ زاي مكسـورة ومفتوحة ويقال أيضاً بفتـحِ الخاء والزّاي حـكاهُ القاضي ويقال أيضاً بضـمِّ الخاء وفتح الـزّاي حكاهُ ابـن الأثير في النّهاية وهوَ غريـب. وفي هذا الحديث اسـتحباب التّعوّذ من الشّيطان عند وسوسته معَ التّفل عن اليسار

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٦١٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢٢٠٣).

ثلاثـاً ومعنى «يلبسـهـا» أي يخلطها ويشـكّكني فيها ومعنى «حال بينـي وبينهـا) أي نكّدني فيها، ومنعنـي لذّتها، والفراغ للخشـوعِ فيها»[1].

وكانَ رسـولُ اللهِ ﷺ إذا انـصرفَ مـن صلاتِهِ قال: «أسـتغفرُ اللهَ، أسـتغفرُ اللهَ، أسـتغفرُ اللهَ، اللهمَّ أنتَ السّلامُ، ومنكَ السّلامُ، تباركتَ ذا الجلالِ والإكرامِ»[2].

وإنـما شُرع للإنسـان سـؤال المغفـرة بعـد أداء هـذه العبـادة العظيمة؛ لأنها جديرة بالاعتناء والاهتمام، وكثيرٌ من الناس يُفرِّط فيهـا، إما في المشروعـات الظّاهرة، أو في المشروعـات الباطنة. ففي المشروعات الباطنة يفرِّط تفريطاً كثيراً فيسـتولي الوسـواسُ عـلى صلاتـه أو أكثرهـا، وفي المشروعات الظّاهـرة أيضاً لا يخلو الإنسـان من تقصـير أو تجاوز، ربما يُقصِّرُ في وَضـعِ اليدين، وربما التفت في صلاته، وربَّما أكثر من الحركة في الصلاة لغير حاجة، كما يشاهد مِن بعض المصلِّين.

وهذا كلُّه مِن الشـيطان، يريد أن يشـغل المصـلي ويلهيه وهو بـين يـدي ربه، ويذكّره الشيء فيشـغله به، فإذا انتهـى من الصَّلاة أنساه إيّاه، حتى تأتي الصلاة الثانية ثم يذكّره فيشغله، وهكذا.

وقـد ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- أن رجلا جاءَ إلى أبي حنيفة

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٩٠).

(٢) رواه مسلم (٥٩١).

فشـكا لـهُ أنه دفن مالا في موضع ولا يذكـر الموضع، فقال له أبو حنيفـة: اذهـب فصلِّ اللّيلة إلى الغداة فإنّك سـتذكره إن شـاءَ الله تعـالى. ففعل الرجـل ذلك، فلم يمض إلّا أقل من ربع اللّيل حتّى ذكـر الموضع، فجـاء إلى أبي حنيفة فأخبرهُ، فقـال: قد علمت أن الشَّـيطان لا يدعك تصلي حتّى تذكره، فهلّا أتممت ليلتك شـكرا لله عز وجل![1].

والمقصود الإشـارة إلى أن الاسـتغفار بعد السَّـلام له مناسبةٌ واضحـة، وهـي جَـبرُ التقصير والخلـل الذي حصـل في الصلاة، نسأل الله المغفرةَ.

ثم يقول بعد الاسـتغفار: «اللهمَّ أنت السَّـلام ومنك السَّـلامُ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

والمناسـبة في هذا ظاهـرة، كأنك تقول: اللهمَّ أنت السَّـلام، فسـلِّم لي صلاتي مِن الـرَّدِّ والنَّقصِ؛ لأن الصَّـلاةَ قد تُقبل وقد لا تُقبل، وقد يُكتب له بعضها ويُرَدّ عليه بعضها.

كـما روى الإمـام أحمـد (١٨٤١٥) عن عـمّار بن يـاسرٍ ﵁ قال: سـمعتُ رسـولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ العبدَ ليصلّي الصّلاةَ ما يكتبُ لهُ منها إلّا عشرها تسـعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها»[2].

---

(١) الأذكياء (ص٧٦).

(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٦).

ثم يقول بعد ذلك أذكار التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل:

قال الحافظ: «البداءة بالتّسبيحِ لأنّهُ يتضمّن نفي النّقائص عن الباري سبحانه وتعالى.

ثـمَّ التّحميـد لأنّهُ يتضمّن إثبات الكمال لـهُ إذ لا يلزم من نفي النّقائص إثبات الكمال.

ثـمَّ التّكبـير إذ لا يلزّم من نفي النّقائص وإثبـات الكمال أن لا يكون هناك كبير آخر.

ثمَّ يختـم بالتّهليـلِ الدّالّ على انفراده سـبحانه وتعـالى بجميعِ ذلكَ»[1].

* * *

الاستخارة:

عـن جابـرِ بـنِ عبـدِ اللهِ رضي الله عنهما قـال: كانَ رسـولُ اللهِ ﷺ يعلّمنا الاسـتخارةَ في الأمورِ كلّها كما يعلّمنا السّـورةَ من القرآنِ، يقولُ: «إذا همَّ أحدكم بالأمرِ فليركع ركعتينِ من غيرِ الفريضةِ ثمَّ ليقل: اللهمَّ إنّي أستخيركَ بعلمكَ، وأسـتقدركَ بقدرتكَ، وأسألكَ من فضلـكَ العظيـمِ، فإنّكَ تقـدرُ ولا أقدرُ، وتعلـمُ ولا أعلمُ، وأنتَ عـلّامُ الغيـوبِ، اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنَّ هـذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومعـاشي وعاقبةِ أمـري -أو قال عاجلِ أمري وآجلـهِ- فاقدرهُ لي

(١) فتح الباري (٢/ ٣٢٨).

ويسّرهُ لي ثمَّ بارك لي فيهِ، وإن كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري -أو قال في عاجلِ أمري وآجلهِ- فاصرفهُ عنّي واصرفني عنهُ، واقدر لي الخيرَ حيثُ كانَ، ثمَّ أرضني، قال: ويسمّي حاجتهُ»[1].

قولـه: «كانَ يعلّمنا الاستخارةَ في الأمورِ كلّها كما يعلّمنا السّورة من القرآن».

قال الطّيبيُّ: «فيهِ إشارة إلى الاعتناء التّامّ البالغ بهذا الدّعاء وهذهِ الصّلاة؛ لجعلهما تلوينِ للفريضةِ والقرآن».

وقال ابن أبي جمرةَ: «الحكمةُ في تقديمِ الصّلاةِ على الدّعاءِ أنَّ المرادَ بالاستخارةِ حصولُ الجمعِ بينَ خيري الدّنيا والآخرةِ، فيحتاجُ إلى قرعِ بابِ الملكِ، ولا شيءَ لذلكَ أنجعُ ولا أنجحَ منَ الصّلاةِ؛ لما فيها من تعظيمِ اللهِ والثّناءِ عليهِ والافتقارِ إليهِ مآلاً وحالاً»[2].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «فعوّضَ رسولُ اللهِ ﷺ أمّتهُ بهذا الدّعاءِ، عمّا كانَ عليهِ أهلُ الجاهليّةِ من زجرِ الطّيرِ والاستقسامِ بالأزلامِ الّذي نظيرهُ هذهِ القرعةُ الّتي كانَ يفعلها إخوانُ المشركينَ، يطلبونَ بها علمَ ما قسمَ لهم في الغيبِ، ولهذا سمّيَ ذلكَ استقساماً، وعوّضهم بهذا الدّعاءِ الّذي هوَ توحيدٌ

(١) رواه البخاري (١١٦٦).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٨٥١٨٦).

وافتقارٌ، وعبوديّةٌ، وتوكّلٌ، وسؤالٌ لمن بيدهِ الخيرُ كلّهُ الّذي لا يأتي بالحسناتِ إلّا هوَ، ولا يصرفُ السّيّئاتِ إلّا هوَ، الّذي إذا فتحَ لعبدهِ رحمةً لم يستطع أحدٌ حبسها عنهُ، وإذا أمسكها لم يستطع أحدٌ إرسالها إليهِ، منَ التّطيّرِ والتّنجيمِ واختيارِ الطّالعِ ونحوهِ.

فهذا الدّعاءُ، هوَ الطّالعُ الميمونُ السّعيدُ، طالعُ أهلِ السّعادةِ والتّوفيقِ، الّذينَ سبقت لهم منَ اللهِ الحسنى، لا طالعُ أهلِ الشّركِ والشّقاءِ والخذلانِ، الّذينَ يجعلونَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ، فسوفَ يعلمونَ.

فتضمّنَ هذا الدّعاءُ الإقرارَ بوجودهِ سبحانهُ، والإقرارَ بصفاتِ كمالهِ من كمالِ العلمِ والقدرةِ والإرادةِ، والإقرارَ بربوبيّتهِ، وتفويضَ الأمرِ إليهِ، والاستعانةَ بهِ، والتّوكّلَ عليهِ، والخروجَ من عهدةِ نفسهِ، والتّبرّي منَ الحولِ والقوّةِ إلّا بهِ، واعترافَ العبدِ بعجزهِ عن علمهِ بمصلحةِ نفسهِ وقدرتهِ عليها، وإرادتهِ لها، وأنَّ ذلكَ كلّهُ بيدِ وليّهِ وفاطرهِ وإلههِ الحقِّ»[1].

❊ ❊ ❊

صلاة الجنازة:

شرعت صلاة الجنازة للدعاء للميت والشفاعة فيه، وقد روى مسلم (٩٤٨) عن عبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ

(١) زاد المعاد (٢/ ٤٠٥).

يقولُ: «ما من رجلٍ مسلمٍ يموتُ فيقومُ على جنازتِهِ أربعونَ رجلاً لا يشركونَ باللهِ شيئاً إلّا شفّعهم الله فيهِ».

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا صلّى على جنازةٍ يقولُ: «اللهمَّ اغفر لحيّنا وميّتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا، اللهمَّ من أحييتهُ منّا فأحيِهِ على الإسلامِ ومن توفّيتهُ منّا فتوفّهُ على الإيمانِ، اللهمَّ لا تحرمنا أجرهُ ولا تضلّنا بعدهُ»[1].

«اللهمَّ اغفر لحيّنا وميّتنا...»: أي لجميع أحيائنا وأمواتنا معشر المسلمين؛ لأن المفرد المضاف -حيث لا عهد- للعموم[2].

وسئل الطحاوي -رحمه الله- عن معنى الاستغفار للصغار مع أنه لا ذنب لهم، فقال: إن النبي ﷺ سأل ربه أن يغفر لهم الذنوب التي قضيت لهم أن يصيبوها بعد الانتهاء إلى حال الكبر.

وقيل: بل المراد بالصغار الشبان، وبالكبار الشيوخ.

وقال ابن حجر: هذا الإشكال في غير محله، لأنه مبني على مقدمة مُتَوهَّمَة وهي أن طلب المغفرة تستدعي سبق ذنب، وليس كذلك، فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: «ليغفرَ لكَ الله ما تقدّمَ من ذنبكَ وما تأخّرَ» مع أنه ﷺ معصوم.

(١) رواه أبو داود (٣٢٠١) والترمذي (١٠٢٤) وابن ماجة (١٤٩٨)، وصححه الألباني.
(٢) دليل الفالحين (٦/ ٢٤٠).

فالصـواب: أن طلبهـا لا يسـتدعي ذنبـا، بـل قد يكـون لنيل الدرجات ومحو التقصيرات[1].

وقولـه: «من أحييتـهُ منّا فأحيِهِ على الإسـلامِ ومـن توفّيتهُ منّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمانِ».

ففرّقَ بين الحياة والموت؛ لأنَّ الإسلام هوَ التّمسّك بالأركانِ الظّاهريّـة، وهـذا لا يتأتّـى إلّا في حالـة الحيـاة وأمّـا الإيـمان فهوَ التّصديق الباطنيّ، وهوَ الّذي لا ينفع غيره حالَ الوفاة[2].

والقاعدة: أن الإسلام إذا قُرن بالإيمان يراد به الشرائع العملية الظاهرة، ويراد بالإيمان الاعتقادات الباطنة، ولهذا ناسب في الحياة أن يذكر الإسـلام، لأن الإنسـان ما دام حيّاً، فلديه مجال وفسـحة للعمـل والتعبد، وأما عند المهات فلا مجال لذلك، بل لا مجال إلا للموت على الاعتقاد الصحيح والإيمان السليم[3].

قولـه: (اللهمَّ لا تَحرِمنا أَجرَهُ) أي لا تحرمنا أجر الصلاة عليه، أو أجـر المصيبة به، فإن المسـلمين في المصيبة كالشيء الواحد، والمُؤمِن أَخُو المُؤمِن فَمَوته مُصِيبَة عَلَيهِ يَطلُب فِيها الأَجر.

(ولا تضلّنا بعدهُ) أي لا تجعلنا ضالّينَ بعدَ الإيمان.

فالمسلم في صلاة الجنازة يدعو لإخوانه المسلمين:

(١) الفتوحات الربانية (٤/ ١٧٣).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي (٤/ ٩٠).

(٣) فقه الأدعية والأذكار (٣/ ٢٣٢).

- للأحياء بالثبات على الإسلام.

- ولمن يموت منهم بالوفاة على الإيمان.

- ولمن مات منهم بالمغفرة والرحمة.

ويشرع له أن يدعو بما ثبت في السنة، فإن كان لا يحفظ شيئا من ذلك ودعا بالرحمة والمغفرة فلا حرج.

وقال الشوكاني -رحمه الله-: «اعلم أنّهُ قد وقعَ في كتبِ الفقهِ ذكرُ أدعيةٍ غيرِ المأثورةِ عنهُ ﷺ والتّمسّكُ بالثّابتِ عنهُ أولى»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: «يدعو بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ إن كان يعرفه، فإن لم يكن يعرفه فبأي دعاء دعا جاز، إلا أنه يخلص الدعاء للميت، أي: يخصه بالدعاء»[2].



(١) نيل الأوطار (٤/ ٧٨).

(٢) الشرح الممتع (٥/ ١٥٤).

الذكر المقيد بالمكان:

فمن ذلك:

دعاء الدخول والخروج من المسجد:

يستحب للإنسان إذا دخل المسجد أن يقول «اللهمَّ افتح لي أبوابَ رحمتك»، وإذا خرجَ أن يقول: «اللهمَّ إنّي أسألكَ من فضلكَ»؛ لما رواه مسلم (٧١٣) عن أبي حميدٍ أو عن أبي أسيدٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«إذا دخلَ أحدكم المسجدَ فليقل: اللهمَّ افتح لي أبوابَ رحمتكَ، وإذا خرجَ فليقل: اللهمَّ إنّي أسألكَ من فضلكَ»**.

والسّرُّ في تخصيصِ الرّحمةِ بالدّخولِ والفضلِ بالخروجِ أنَّ من دخلَ اشتغلَ بما يزلّفهُ إلى ثوابهِ وجنّتهِ فيناسبُ ذكرَ الرّحمةِ.

وإذا خرجَ اشتغلَ بابتغاءِ الرّزقِ الحلالِ فناسبَ ذكرَ الفضلِ؛ كما قال الله تعالى ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، قاله الطّيبيُّ[1].

(١) تحفة الأحوذي (٢/ ٢١٥).

وعن حيوةَ بنِ شريحٍ قال: لقيتُ عقبةَ بنَ مسلمٍ فقلتُ لهُ: بلغني أنّكَ حدّثتَ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ عن النّبيِّ ﷺ أنّهُ كانَ إذا دخلَ المسجدَ قال: «أعوذُ باللهِ العظيمِ وبوجههِ الكريمِ وسلطانهِ القديمِ من الشّيطانِ الرّجيمِ» قال: أقط؟[1] قلتُ: نعم. قال: فإذا قال ذلكَ قال الشّيطانُ: حفظَ منّي سائرَ اليومِ[2].

وذلك لأن الشيطان حريص غاية الحرص على أن يصد الإنسان عن دخول المسجد وعن الصلاة، فناسب أن يستعيذ بالله العظيم منه، فكأنه يقول: «اللهمَّ احفظني من وسوسته وإغوائهِ وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله».

وعند خروجه من المسجد يحرص الشيطان على أن يسوقه إلى أماكن الحرام ليوقعه في مواطن الريب والعصيان، لذلك كانت السنة أن يقول إذا خرج من المسجد: «اللهمَّ اعصمني من الشّيطانِ الرّجيمِ»؛ لما روى ابن ماجه (٧٧٣) عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إذا دخلَ أحدكم المسجدَ فليسلّم على النّبيِّ ﷺ وليقل: اللهمَّ افتح لي أبوابَ رحمتكَ، وإذا خرجَ فليسلّم على النّبيِّ ﷺ وليقل: اللهمَّ اعصمني من الشّيطانِ الرّجيمِ»[3].

وقوله في الحديث: «وسلطانهِ القديمِ»: فالسلطان صفة من صفات الله، وهي صفة سلطته وملكوته وعظمته وغلبته؛ لأنه

(١) يعني: أهذا الذي بلغك فقط؟

(٢) رواه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني.

(٣) صححه الألباني في صحيح ابن ماجة وغيره.

لا يستعاذ بمخلوق، والحديث جاء فيه الاستعاذة بالله عز وجل وبصفاته.

وأما كلمة «القديم» فالمقصود بها الأزلي، يعني: الذي صفاته وقدرته وغلبته وقهره ليس لها بداية، فهو متّصفٌ بذلك أزلاً، ولكن ليس من أسماء الله القديم، ولكن هذا وصفٌ لقهره وغلبته بأنها أزلية[1].

* * *

ذكر الله عند دخول البيت:

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ أنّهُ سمعَ النّبيَّ ﷺ يقولُ: «**إذا دخلَ الرّجلُ بيتهُ فذكرَ اللهَ عندَ دخولِهِ وعندَ طعامِهِ قال الشّيطانُ: لا مبيتَ لكم ولا عشاءَ. وإذا دخلَ فلم يذكر اللهَ عندَ دخولِهِ قال الشّيطانُ: أدركتم المبيتَ. وإذا لم يذكرِ اللهَ عندَ طعامِهِ قال: أدركتم المبيتَ والعشاءَ**».

قال النووي -رحمه الله-: «معناهُ: قال الشّيطان لإخوانِهِ وأعوانه ورفقته. وفي هذا استحباب ذكر الله تعالى عند دخول البيت وعند الطّعام»[2].

وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «في هذا: حث على أن الإنسان

(١) شرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد (٣/ ٢٥٥٢٥٦) - ترقيم الشاملة.
(٢) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٩٠).

ينبغـي له إذا دخل بيته أن يذكر اســم الله، والذكر الوارد في ذلك: «بســم الله ولجنا وبســم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا، اللهم إني أسـألك خير المولج وخير المخرج»[1] ثم يستاك؛ لأن النبي ﷺ إذا دخل بيته فأول ما يبدأ به السواك[2]. ثم يسلم على أهله.

أما عند العشـاء فيقول: «بسم الله» وبذلك يحترز من الشيطان الرجيم مبيتاً وعشاء.

فإن ذكر اســم الله عند الدخول دون العشــاء شـاركه الشيطان في عشائه.

وإن ذكر اسم الله عند العشاء دون الدخول شاركه الشيطان في المبيت دون العشاء. وإن ذكر اسم الله عند الدخول وعند العشاء فإن الشيطان لا يكون له مبيت ولا عشاء»[3].

* * *

دعاء دخول الخلاء:

عـن أنـس ﷺ قال: كانَ رسـولُ اللهِ ﷺ إذا دخـلَ الخلاءَ قال: «اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من الخبثِ والخبائث»[4].

(١) رواه أبـو داود (٥٠٩٦) وصححـه الألبـاني في الصحيحـة (٢٢٥) وصحيـح الجامـع (٨٣٩)، ثـم تراجع وضعفـه في الضعيفـة (٥٨٣٢) وضعيف أبي داود (١٠٩١) والثمر المستطاب (ص٦١٣)، وأعله بالانقطاع.

(٢) رواه مسلم (٢٥٣).

(٣) شرح رياض الصالحين (ص٨٠٩).

(٤) متفق عليه.

قوله: «إذا دخلَ» يعني: إذا أرادَ الدّخول.

«إِنّي أَعُوذُ بِك» أي: أَلُوذُ وَأَلتَجِئُ.

«الخُبُث» جَمع خَبِيث «والخَبائِث» جَمع خَبِيثَة، والمراد: ذُكران الشَّياطِين وَإِناثهم.

وقيل: الخُبث: المَكرُوه أو الشرّ أو المذموم أو الضار، والخَبائِث: المَعاصِي أو مُطلَق الأَفعال المَذمُومَة.

وقيل الخبائث: الشياطين[1].

ووردَ في سبب هذا التّعوّذ ما رواه زيد بن أرقمَ عن النّبيّ ﷺ قال: «إنَّ هذهِ الحشوش محتضرة، فإذا دخلَ أحدكم الخلاء فليقل اللهمَّ إنّي أعوذ بك من الخبث والخبائث»[2].

* * *

دعاء الخروج من الخلاء:

عَن عائِشَةَ ﵂ قالت: كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا خَرَجَ مِن الخَلاءِ قال: «غُفرانَكَ»[3]. أَي أسأَلُك غُفرانَك.

قال النّوويُّ: «وجاءَ في الّذي يقالُ عقبَ الخروجِ من

(١) راجع: شرح النووي على مسلم (٤/ ٧١) - فتح الباري (١/ ١١٠) - كشف المشكل (٣/ ٢٧١).

(٢) رواه أبو داود (٦) وابن ماجة (٢٩٦) وأحمد (١٨٨٠٠)، وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود (٣٠) والترمذي (٧) وابن ماجة (٣٠٠) وصححه الألباني.

الخلاءِ أحاديثُ كثيرةٌ ليسَ فيها شيءٌ ثابتٌ إلّا حديثُ عائشةَ المذكورُ»[1].

ومناسبة سؤال المغفرة بعد خروجه من الخلاء أن الإنسان لما تخفف من أذية الجسم تذكر أذية الإثم، فدعا الله أن يخفف عنه أذية الإثم كما منّ عليه بتخفيف أذية الجسم، وهذا معنى مناسب من باب تذكّر الشيء بالشيء.

وقيل: إنَّ القوّةَ البشريّةَ قاصرةٌ عن الوفاءِ بشكرِ ما أنعمَ الله عليهِ من تسويغِ الطّعامِ والشّرابِ وترتيبِ الغذاءِ على الوجهِ المناسبِ لمصلحةِ البدنِ إلى أوانِ الخروجِ، فلجأَ إلى الاستغفارِ اعترافاً بالقصورِ عن بلوغِ حقِّ تلكَ النّعمِ[2].

* * *

إذا نزل منزلاً:

عن خولةَ بنتِ حكيمٍ السّلميّةِ رضي الله عنها أنّها سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إذا نزلَ أحدكم منزلاً فليقل: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التّامّاتِ من شرِّ ما خلقَ؛ فإنّهُ لا يضرّهُ شيءٌ حتّى يرتحلَ منهُ**»[3].

قال القرطبي: «وهذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلا وتجربة؛ فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت به، فلم يضرني

(١) المجموع (٢/ ٧٦).
(٢) مرقاة المفاتيح (١/ ٣٨٧).
(٣) رواه مسلم (٢٧٠٨).

شيء إلى أن تركته لدغتني عقرب بالمهدية ليلا، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات فقلت لنفسي -ذامّاً لها وموبّخاً- ما قاله عليه السلام للرجل الملدوغ: أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات لم يضرك شيء»[1].

***

الذكر عند المشعر الحرام:

قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

فيستحب الإكثار من الذكر والدعاء في مزدلفة، ومناسبة ذلك: أنها ليلة عظيمة اجتمع فيها شرف المكان والزمان، وكونه محرما، وهي مجمع الحجيج وقد جاءت بعد عبادة عظيمة وهي يوم عرفة[2].



(١) الفتوحات الربانية (٣/ ٩٤).

(٢) الفتوحات الربانية (٥/ ١٢).

الذكر المقيد بالأحوال:

ومن ذلك:

أذكار النوم:

كانَ النّبـيُّ ﷺ إذا أرادَ أن ينـامَ قـال: «باسـمكَ اللهـمَّ أموتُ وأحيا» وإذا اسـتيقظَ من منامِهِ قال: «الحمدُ للهِ الّذي أحيانا بعدَ ما أماتنا وإليهِ النّشورُ»[1].

والحكمـة من الذكـر والدعاء عند النوم وبعد الاسـتيقاظ: أن يكـون خاتمة عملـه في اليوم وأوله بعد الاسـتيقاظ ذكـر التوحيد والكلم الطيب، كما قيل:

وآخـرُ شيء أنـت في كلِّ هَجعـةٍ
وأولُ شيء أنـت عِنـد هُبُـوبي

فـإذا ابتدأ العبد يومـه بذكر الله، وختمه بذكـر الله، فيُرجى أن يُغفر له ما بين أول اليوم ونهايته من الذنوب.

---

(١) متفق عليه.

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخلَ الرّجلُ بيتهُ أو أوى إلى فراشهِ ابتدرهُ[1] ملكٌ وشيطانٌ، فقال الملكُ: اختم بخيرٍ[2]، وقال الشّيطانُ: اختم بشرٍّ؛ فإن حمِدَ اللهَ وذكرهُ، أطردهُ، وباتَ يكلؤهُ[3]»[4].

قوله: «باسمكَ اللهمَّ أموتُ وأحيا» قيل المعنى: بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت أي: أنا مداوم على ذكرك ما حييت وعليه أموت.

ويحتمل أن الاسم هنا بمعنى المسمى فيكون المعنى: بك أحيا وبك أموت.

ويحتمل أن المراد بالحياة: الحياة بعد الموت ويحتمل: الحياة بعد النوم.

ويحتمل أن المراد بالموت الموت الحقيقي ويحتمل أنه النوم؛ فإن النوم أخو الموت.

«الحمدُ للهِ الّذي أحيانا بعدَ ما أماتنا وإليهِ النّشورُ» أي: أحيانا بالاستيقاظ بعد أن أماتنا بالنوم.

ووجه الحمد على الاستيقاظ بعد النوم أن ذلك من أفضل

(١) تسارع إليه.

(٢) أي: اختم عمل يومك بخير.

(٣) يحفظه ويحرسه.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٢١٤)، وحسنه ابن حجر، وضعفه الألباني.

النعم؛ ليكتسب ثمرة الحياة الدنيا من العلم النافع والعمل الصالح، وفي ذلك أيضا إمهال الإنسان ليتوب، ويرجع إلى الله.

«وإليهِ النّشورُ» هو الحياة بعد الموت، فالمعنى: إلى الله رجوع الخلائق بعد بعثهم وحياتهم بعد مماتهم؛ ليحاسب كلاّ منهم حسب عمله.

وحكمة ذكر ذلك: أن يكون حاضر القلب في اليقظة، فلا يفضي به تيقّظه إلى الغفلة عما طُلب منه.

وحكمة ذكر الموت عند النوم: كأنه يُذَكِّر نفسه بالموت حتى لا يُفضي به نومُه إلى التكاسلِ أو التباطؤ عما طُلب منه[1].

***

قراءة خواتيم سورة البقرة

روى البخاري (٤٠٠٨) ومسلم (٨٠٧) عن أبي مسعودٍ البدريِّ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«الآيتانِ من آخرِ سورةِ البقرةِ من قرأهما في ليلةٍ كفتاهُ»**.

وهما قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ...﴾ إلى آخر السورة.

قيل: كفتاهُ من قيام اللّيل وقيل: كفتاهُ من الشّيطان وقيل: كفتاهُ كلَّ سوء، وقيلَ: دفعتا عنهُ شرَّ الإنسِ والجنِّ.

(١) الفتوحات الربانية (١/ ٢٨٦).

ولا مانعَ من إرادةِ هذهِ الأمورِ جميعها، وفضلُ اللهِ واسعٌ.

قال النووي -رحمه الله-: «قيلَ: معناهُ كفتاهُ من قيام اللّيل، وقيلَ: من الشّيطان وقيلَ: من الآفات ويحتمل من الجميع»[1].

قال الحافظ -رحمه الله-: «وكأنّهما اختصّتا بذلكَ لما تضمّنتاهُ منَ الثّناءِ على الصّحابةِ بجميلِ انقيادهم إلى اللهِ وابتهالهم ورجوعهم إليهِ، وما حصلَ لهم منَ الإجابةِ إلى مطلوبهم»[2].

وعن عليّ ﷺ قال: «ما كنتُ أرى أنَّ أحداً يعقلُ ينامُ حتّى يقرأَ هؤلاءِ الآياتِ من آخرِ سورةِ البقرةِ»[3].

فضم إليهما الآية الثالثة: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...﴾ الآية.

لما فيها من إثبات علم الله المحيط بكل شيء، ومشيئته النافذة، وقدرته الغلبة لكل شيء.

* * *

قراءة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾:

روى أبو داود (٥٠٥٥) عن فروةَ بنِ نوفلٍ عن أبيهِ أنَّ النّبيَّ ﷺ قال لنوفلٍ: «اقرأ قل يا أيّها الكافرونَ ثمَّ نم على خاتمتها فإنّها براءةٌ من الشّركِ»[4].

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٩١٩٢). وانظر: فتح الباري (٩/ ٥٦).
(٢) فتح الباري (٩/ ٥٦).
(٣) رواه الدارمي (٣٣٨٤) وابن الضريس في فضائل القرآن (١٧٦)، وصححه النووي وابن حجر، وضعفه الألباني.
(٤) حسنه الحافظ ابن حجر، وصححه الألباني.

وكونها «بَرَاءَةٌ مِن الشِّرْكِ»: يعني أنها توجب لقارئها الأمن والنجاة من الإشراك بالله، لما اشتملت عليه من نفي الألوهية عما سوى الله، وإثباتها له وحده، مع التزام ذلك والمداومة عليه.

فهل يَفهم قارئ هذه السورة هذا المعنى أنه يتبرأ من الشرك بالله؟

للأسف يفهم بعض المسلمين من قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ خلاف ما أراد الله منها؛ حيث يفهم أنها إقرار للشرك، وأن كل إنسان لا حرج عليه أن يعبد ما شاء!!

وهذا فهم خاطئ، بل باطل، وهو من فساد الاعتقاد، وعدم الفهم عن الله ورسوله.

وعن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: **«إذا أتيتَ مضجعكَ فتوضّأ وضوءكَ للصّلاةِ ثمَّ اضطجع على شقّكَ الأيمنِ وقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليكَ وفوّضتُ أمري إليكَ وألجأتُ ظهري إليكَ رهبةً ورغبةً إليكَ لا ملجأَ ولا منجا منكَ إلّا إليكَ، آمنتُ بكتابكَ الّذي أنزلتَ وبنبيّكَ الّذي أرسلتَ. فإن متَّ متَّ على الفطرةِ، فاجعلهنَّ آخرَ ما تقولُ». قال البراء: «فردّدتها على النّبيِّ ﷺ فلمّا بلغتُ اللهمَّ آمنتُ بكتابكَ الّذي أنزلتَ قلتُ ورسولكَ قال لا ونبيّكَ الّذي أرسلتَ»**[1].

قوله: «أسلمتُ نفسي إليكَ» أي رضيت بأن تكون تحت مشيئتك، تتصرف فيها بما شئت من إمساكها أو إرسالها.

(١) متفق عليه.

ففيه إشـارة إلى أنه ينبغي للإنسـان أن يتـوب إلى الله تعالى قبل النوم لينام مطيعاً.

وفي لفـظ: «أسـلمتُ وجهي إليـكَ» والمـراد بالوجه الذات، فهو بمعنى «أسلمت نفسي إليك».

«وفوّضتُ أمري إليكَ» أي: توكلت عليك في جميع شأني.

«وألجأتُ ظهري إليكَ» أي أسـندته إلى حفظك وفي التعبير بـ«ألجأت» إشـارة إلى أنه مضطر إلى حفظ الله حيث لا حافظ له إلا هو ولا يُتقوى بأحد سواه.

«رغبةً ورهبةً إليكَ» عِلّة لما سبق.

فـ«أسـلمت وجهي» و«فوضت أمـري»، و«ألجأت ظهري»: «رغبةً ورهبة» طمعاً في ثوابك ومخافة عذابك.

وقولـه: «لا ملجـأَ ولا منجا منكَ إلّا إليكَ» أي: لا مهرب ولا مخلّـص من عقوبتك إلا بالفرار إليك، ففيه إشـارة إلى قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

«آمنتُ بكتابكَ الّذي أنزلتَ»: وهو القرآن الكريم.

«فإن متَّ متَّ على الفطرةِ»: أي الإسلام.

«فاجعلهنَّ آخرَ ما تقولُ»: أي من الدعوات[1].

---

(١) دليل الفالحين (٢/ ٢٨١).

قال ابن بطال: «أي لا تتكلم بعدهن بشيء من أحاديث الدنيا، وليكن هذا الذكر خاتمة عملك»[١].

وقال الحافظ: «في روايةِ الكشميهنيِّ: «من آخرِ» وهيَ تبيّنُ أنّهُ لا يمتنعُ أن يقولَ بعدهنَّ شيئاً مّمَا شرعَ منَ الذّكرِ عندَ النّومِ»[٢].

فرددها البراء ليستذكرها فقال: «وبرسولكَ الّذي أرسلتَ»، فقال له النبي ﷺ: «لا، وبنبيّكَ الّذي أرسلتَ».

قال النووي: «اختلفَ العلماء في سبب إنكاره ﷺ وردّه اللّفظ: فقيلَ: إنّما ردّهُ لأنَّ قوله: «آمنت برسولك» يحتمل غير النّبيّ ﷺ من حيثُ اللّفظ.

واختارَ المازريُّ وغيره أنَّ سبب الإنكار أنَّ هذا ذكر ودعاء، فينبغي فيهِ الاقتصار على اللّفظ الوارد بحروفهِ، وقد يتعلّق الجزاء بتلكَ الحروف، ولعلّهُ أوحيَ إليهِ ﷺ بهذهِ الكلمات، فيتعيّن أداؤها بحروفها، وهذا القول حسن. وقيلَ: لأنَّ قوله: «ونبيّك الّذي أرسلت» فيهِ جزالة من حيثُ صنعة الكلام، وفيهِ جمع النّبوّة والرّسالة، فإذا قال: رسولك الّذي أرسلت، فإنَّ هذا الأمر معَ ما فيهِ من تكرير لفظ «رسول» وَ«أرسلت» أهل البلاغة يعيبونهُ، وقد قدّمنا أنّهُ لا يلزم من الرّسالة النّبوّة ولا عكسه»[٣].

(١) شرح صحيح البخاري (١٠/ ٨٤).

(٢) فتح الباري (١/ ٣٥٨).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣٣)، وانظر: فتح الباري (١١/ ١١٢).

وقال علماء اللجنة الدائمة: «الأصل في الأذكار وسائر العبادات الوقوف عند ما ورد من عباراتها وكيفياتها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[1].

وعن حفصةَ زوجِ النّبيِّ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا أرادَ أن يرقدَ وضعَ يدهُ اليمنى تحتَ خدّهِ ثمَّ يقولُ: «**اللهمَّ قني عذابكَ يومَ تبعثُ عبادكَ**»[2].

قال المباركفوري -رحمه الله-: «لمّا كانَ النّومُ في حكمِ الموتِ والاستيقاظِ كالبعثِ دعا بهذا الدّعاءِ؛ تذكّراً لتلكَ الحالةِ»[3].

وأراد أن يكون آخر عمله ذكر الله.

وعن أنسٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا أوى إلى فراشهِ قال: «الحمدُ للهِ الّذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممّن لا كافيَ لهُ ولا مؤويَ»[4].

«كَفانا» أي دفع عنا شر المؤذيات.

«وَآوانا» أي رزقنا مساكن نأوي إليها، ونسكن فيها، ولم يجعلنا من المُشَرَّدين.

«فكم ممّن لا كافيَ لهُ ولا مؤويَ» أي: فكم شخص لا يكفيهم

(١) فتاوى اللجنة (٦/ ٨٧).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٤٥)، وصححه الألباني.

(٣) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٤١).

(٤) رواه مسلم (٢٧١٥).

الله شر الأشرار حتى غلب عليهم أعداؤهم، ولا يهيئ لهم مأوى، بل تركهم يهيمون في البوادي ويتأذون بالحر والبرد.

ومناسبة ذلك للنوم: أن الإنسان إذا دُفع عنه الجوع والعطش بالأكل والشرب، وأمن من الشرور والمكاره طاب له نومه، فَتَذَكَّرَ هذه النعم التي هي سبب لطيب النوم، فحمد الله تعالى عليها.

* * *

قراءة آية الكرسي:

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: وكّلني رسولُ اللهِ ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضانَ، فأتاني آتٍ فجعلَ يحثو من الطّعامِ، فأخذتهُ فقلتُ: لأرفعنّكَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ... فذكر الحديثَ، إلى أن قال: إذا أويتَ إلى فراشكَ فاقرأ آيةَ الكرسيِّ لن يزالَ معكَ من اللهِ حافظٌ ولا يقربكَ شيطانٌ حتّى تصبحَ. فقال النّبيُّ ﷺ: «صدقكَ وهوَ كذوبٌ، ذاكَ شيطانٌ»[1].

قوله: «لن يزالَ معكَ من اللهِ حافظٌ»: المراد بذلك الجنس، فيحتمل أن يكون ملكاً واحداً أو أكثر، يحفظك في بدنك ومالك ودينك وسائر ما يتعلق بك.

---

(١) رواه البخاري تعليقاً (٣٢٧٥) ووصله البغوي في شرح السنة (١١٩٦) والبيهقي في الشعب (٢١٧٠) وغيرهما.

«ولا يقربكَ شيطانٌ»: هو تأكيد للحفظ، فإنه إذا حفظه الملك، فلا يقربه الشيطان، ولا يؤذيه في دينه ولا دنياه.

وروى ابن أبي شيبة عن عليٍّ ﷺ قال: «ما أرى أحداً يعقلُ دخلَ في الإسلامِ ينامُ حتّى يقرأ آيةَ الكرسيِّ»[1].

وعن أبي الأزهرِ الأنماريِّ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا أخذَ مضجعهُ من اللّيلِ قال: «بسمِ اللهِ وضعتُ جنبي، اللهمَّ اغفر لي ذنبي وأخسئ شيطاني وفكَّ رهاني واجعلني في النّديِّ الأعلى»[2].

«وأخسئ شيطاني» أي اطرده عني.

«وفكَّ رهاني» الرهان هو ما يوضع لتوثيق الدين، أراد بذلك نفسه لأنها مرهونة بعملها، قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

وفَكُّ الرهان هو تخليصه من يد المرتهن. والمعنى: خَلِّص رقبتي من حقوق الناس، ومن حقك يا رب العالمين، ومن الذنوب بالعفو عنها، وخَلِّصها من التكاليف بالتوفيق للإتيان بها.

«واجعلني في النّديِّ الأعلى» الندىّ هم القوم المجتمعون في مجلس، والمراد هنا الملأ الأعلى من الملائكة.

---

(١) المصنف (٦/ ٤٠).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٥٤) وصححه الألباني.

ومناسبة هذا الدعاء للنوم: أنه لما كان النوم وإراحة البدن يُستعان به على طاعة الله، والابتعاد عن معاصيه، سأله عند النوم أن يعينه على طاعته وذلك بفك رهانه، وأن يبعده عن معصيته بطرد شيطانه، ثم سأل القرب من الله تعالى بأن يجعله مع الملأ الأعلى.

* * *

أذكار الاستيقاظ:

عن أبي هريرةَ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إذا استيقظَ أحدكم فليقل: الحمدُ للهِ الّذي عافاني في جسدي وردَّ عليَّ روحي وأذنَ لي بذكرِهِ»[1].

قوله: «عافاني في جسدي» أي جعل جسدي ذا عافية.

قال النووي: «وقد كثرتِ الأحاديثُ في الأمرِ بسؤالِ العافيةِ، وهيَ منَ الألفاظِ العامّةِ المتناولةِ لدفعِ جميعِ المكروهاتِ في البدنِ والباطنِ في الدّينِ والدّنيا والآخرةِ»[2].

وقوله: «وردَّ عليَّ روحي»؛ لأن الروح تفيض في النوم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢].

* * *

(١) رواه الترمذي (٣٤٠١) وحسنه، وحسنه الألباني.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٤٦).

دعاء السفر:

عن سالمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ أنَّ ابنَ عمرَ كانَ يقولُ للرّجلِ إذا أرادَ سفراً: ادنُ منّي أودّعكَ كما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يودّعنا، فيقولُ: «أستودعُ اللهَ دينكَ وأمانتكَ وخواتيمَ عملكَ»(١).

قدّم حفظَ الدين على حفظ الأمانة اهتماما به، ولأن السفر موضع خوف أو خطر وقد يصاب، وتحصل له مشقة وتعب لإهماله بعض الأمور المتعلقة بالدين من إخراج الصلاة عن وقتها ونحوه كما هو مُشاهد(٢).

وعن أنسٍ قال: جاءَ رجلٌ إلى النّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ إنّي أريدُ سفراً فزوّدني، قال: «زوّدكَ الله التّقوى» قال: زدني، قال: «وغفرَ ذنبكَ» قال: زدني بأبي أنتَ وأمّي، قال: «ويسّرَ لكَ الخيرَ حيثما كنتَ»(٣).

فقوله: «زوّدكَ الله التّقوى» أي جعلها زادك، فإن خير الزاد التقوى، لأنها زاد المعاد.

«وغفرَ ذنبكَ»: أي جميع ذنوبك، وخاصة الذنوب التي قد تقع في سفرك.

«ويسّرَ لكَ الخيرَ حيثما كنتَ»: أي يسر لك الخير الديني

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٤٣) وصححه الألباني.

(٢) الفتوحات الربانية (٥/ ١١٦).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٤٤) وحسنه، وحسنه الألباني.

والدنيـوي من الحج والغـزو والعلم وطلب الحلال وصلة الرحم ونحوه، حيثما كنت متوجها إليه ومشرفا عليه.

ويحتمـل أن الرجل طلب الزاد المتعارف عليه، فأجابه ﷺ بما أجـاب على طريق أسـلوب الحكيـم: أي إن زادك أن تتقي محارمه وتجتنب معاصيه[1].

وعن ابنَ عمرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا استوى على بعيرِهِ خارجـاً إلى سـفرٍ كبّرَ ثلاثاً ثمَّ قال: «**سـبحانَ الّذي سـخّرَ لنا هذا وما كنّا لهُ مقرنينَ وإنّا إلى ربّنا لمنقلبونَ، اللهمَّ إنّا نسألكَ في سفرنا هذا البرَّ والتّقوى، ومن العملِ ما ترضى، اللهمَّ هوّن علينا سـفرنا هـذا واطوِ عنّـا بعدهُ، اللهمَّ أنتَ الصّاحبُ في السّـفرِ، والخليفةُ في الأهلِ، اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من وعثاءِ السّـفرِ وكآبةِ المنظرِ وسـوءِ المنقلـبِ في المالِ والأهـلِ**»، وإذا رجعَ قالهنَّ وزادَ فيهنَّ: «**آيبونَ تائبونَ عابدونَ لربّنا حامدونَ**»[2].

قوله: «سبحانَ الّذي سخّرَ لنا هذا وما كنّا لهُ مقرنينَ»:

وجـه مناسـبة الإتيـان بهـذا الذكـر وافتتاحـه بـــ «سـبحان» الموضوعة للتنزيه: أن تسـخير الدواب لنـا نعمة عظيمة لا يقدر عليها غيره، فناسب شهود تنزيهه عن الشريك حينئذ.

«وإنّـا إلى ربّنـا لمنقلبـونَ» ومناسـبة ذلـك: أنه لمـا كان ركوب

---

(١) الفتوحات الربانية (٥/ ١٢١-١٢٠).

(٢) رواه مسلم (١٣٤٢).

السفينة والدابة قد يفضي إلى الموت في بعض الأحوال؛ تذكر معاده بسببه، فناسب ذكره؛ لأن الدابة سبب من أسباب التلف، فيكون ذلك حاملا له على تقوى الله في ركوبه ومسيره.

«اللهمَّ أنتَ الصّاحبُ في السّفرِ» أيِ الحافظُ والمعينُ، والصّاحبُ في الأصلِ الملازمُ، والمرادُ: مصاحبةُ اللهِ إيّاهُ بالعنايةِ والحفظِ والرّعايةِ، فنبّهَ بهذا القولِ على الاعتمادِ عليهِ والاكتفاءِ بهِ عن كلِّ مصاحبٍ سواهُ.

«والخليفةُ في الأهلِ»: الخليفةُ من يقومُ مقامَ أحدٍ في إصلاحِ أمرهِ.

قال التّوربشتيُّ: المعنى أنتَ الّذي أرجوهُ وأعتمدُ عليهِ في سفري بأن يكونَ معيني وحافظي، وفي غيبتي عن أهلي أن تلمَّ شعثهم وتداويَ سقمهم وتحفظَ عليهم دينهم وأمانتهم»[1].

«اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من وعثاءِ السّفرِ وكآبةِ المنظرِ»:

«وعثاءِ السّفرِ» هُوَ النَّصَبُ والتّعَب.

«وكآبةِ المنظرِ»: يعني أعوذُ بكَ ممّا ينقلبَ إلى ما يقتضي كآبةً: من فواتِ ما أريدُ أو وقوعِ ما أحذرُ، والكآبةُ ظهورُ الحزنِ[2].

«وسوءِ المنقلبِ» أي: أعوذُ بكَ من سوءِ الرّجوعِ بأن يصيبنا حزنٌ أو مرضٌ.

---

(١) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٨٠).

(٢) المنتقى شرح الموطأ (٧/ ٣٠٣).

«في المـالِ والأهلِ» مثلَ أن يعودَ غيرَ مقـضيِّ الحاجةِ أو لنائبةٍ أصابتهُ في النّفسِ كمرضٍ، أوِ المالِ كسرقةٍ كلّهِ أو بعضهِ، والأهلُ أيِ: الزّوجةُ والخدمُ والأقاربُ كمرضِ أحدهم أو فقدهِ.

وفي الفائقِ: كآبةُ المنقلبِ أن ينقلبَ إلى وطنهِ فيلقى ما يكتئبُ منهُ من أمرٍ أصابهُ في سفرهِ أو فيما يقدمُ عليهِ[1].

* * *

ذكر الرجوع من السفر:

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا قفلَ[2] من غزوٍ أو حـجٍّ أو عمرةٍ يكبّرُ على كلِّ شرفٍ من الأرضِ ثلاثَ تكبيراتٍ ثمَّ يقولُ: «لا إلهَ إلّا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديـرٌ، آيبونَ[3] تائبـونَ عابدونَ سـاجدونَ لربّنا حامدونَ، صدقَ اللهُ وعدهُ ونصرَ عبدهُ وهزمَ الأحزابَ وحدهُ»[4].

مناسبة مجيء التهليل بعد التكبير:

قال الحافظ في الفتح (١١/ ١٨٩): «قال القرطبي: وفي تعقيب التكبير بالتهليل إشـارة إلى أنه المتفرد بإيجـاد جميع الموجودات، وأنه المعبود في جميع الأماكن».

---

(١) مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٠٥).

(٢) القفول: الرجوع.

(٣) الإياب: الرجوع والعودة.

(٤) متفق عليه.

شُكرُ الله تعالى على نعمه:

قال ابن عبد البر -رحمه الله- : «وليس في هذا الحديث إلا الحض على شكر الله للمسافر على أوبته ورجعته، وشكر الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله واجب على كل مؤمن لازم له بدليل قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، ومن الشكر الاعتراف بالنعمة، فنعمة الله عظيمة.

ومعنى آيبون راجعون، ومعنى تائبون: أي من الشرك والكفر، عائدون بما افترضه عليهم ورضيه منهم، ساجدون لوجهه لا لغيره، حامدون على ذلك كله.

وقوله: «صدق الله وعده» فيما كان وَعَدَه من ظهور دينه، وذلك كله اعتراف بالنعمة وشكر لها»[1].

* * *

حال الهم والحزن:

عن عبدِ اللهِ بن مسعود ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما أصابَ أحداً قطُّ همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهمَّ إنّي عبدكَ وابنُ عبدكَ وابنُ أمتكَ ناصيتي بيدكَ[2] ماضٍ فيَّ حكمكَ عدلٌ فيَّ قضاؤكَ، أسألكَ بكلِّ اسمٍ هوَ لكَ سمّيتَ بهِ نفسكَ أو علّمتهُ أحداً من

---

(١) الاستذكار (٤/ ٣٩٧).

(٢) الناصية: مقدم الرأس، وهي هنا إشارة إلى أن إحاطته كاملة للعبد.

خلقكَ أو أنزلتهُ في كتابكَ أو استأثرتَ بهِ في علمِ الغيبِ عندكَ: أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي ونورَ صدري وجلاءَ حزني وذهابَ همّي، إلّا أذهبَ الله همّهُ وحزنهُ وأبدلهُ مكانهُ فرجاً» فقيلَ: يا رسولَ اللهِ ألا نتعلّمها؟ فقال: «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلّمها»[1].

وهذا الحديث يتضمن أربعة أصول، لا سبيل للعبد إلى نيل السعادة وزوال الهم والغم إلا بالإتيان بها وتحقيقها:

١. **الأصل الأول**: هو تحقيق العبادة لله وتمام الانكسار بين يديه، واعتراف العبد بأنه مخلوق لله مملوك له هو وآباؤه وأمهاتُه، وذلك في قوله: «اللهمَّ إنّي عبدكَ وابنُ عبدكَ وابنُ أمتكَ» فلم يكتفِ بقوله: «إني عبدك» بل زاد «وابن عبدك وابن أمتك» لإظهار التذلل والخضوع، والاعتراف بالعبودية، فهذا أبلغ وآكد في إظهار التذلل والعبودية، لأن مَن مَلك رجلا ليس مثل من ملكه مع أبويه.

٢. **الأصل الثاني**: أن يؤمن العبد بقضاء الله وقَدَره، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا معقب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، وذلك في قوله: «ناصِيَتِي بِيَدِكَ ماضٍ فِيَّ حُكمُكَ عَدلٌ فِيَّ قَضاؤُكَ».

٣. **الأصل الثالث**: أن يؤمن العبد بأسماء الله الحسنى وصفاته العظيمة الواردة في الكتاب والسنة، ويتوسل بها إلى الله

---

(١) رواه أحمد (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

تعالى، وذلك في قوله: «أسـألكَ بكلِّ اسمٍ هوَ لكَ سمّيتَ بهِ نفسكَ أو علّمتهُ أحداً من خلقكَ أو أنزلتهُ في كتابكَ أو استأثرتَ بهِ في علمِ الغيبِ عندكَ».

٤. **الأصـل الرابع:** هـو العناية بالقرآن الكريـم، كلام الله عز وجل، المشـتمل على الهداية والشـفاء والكفاية والعافية، والعبـد كلـما كان عظيم العنايـة بالقرآن نال من السـعادة والطمأنينـة وراحـة الصـدر وزوال الهـم والغم بحسـب ذلـك، ولهذا قـال في الدعاء: «أن تجعلَ القـرآنَ ربيعَ قلبي ونورَ صدري وجلاءَ حزني وذهابَ همّي».

فهذه أربعةُ أصول عظيمة مسـتفادة من هـذا الدعاء المبارك، ينبغـي علينـا أن نتأمَّلَها ونَسـعَى في تحقيقها؛ لننالَ هـذا الموعودَ الكريـمَ والفضـلَ العظيـم، وهـو قولـه ﷺ: «**إلّا أذهـبَ الله همّهُ وحزنهُ وأبدلهُ مكانهُ فرجاً**»[1].

وعـن أنسٍ رضي الله عنه قال: كنتُ أسـمعُ رسـولَ اللهِ ﷺ كثيراً يقولُ: «**اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من الهمِّ والحزنِ، والعجزِ والكسـلِ، والبخلِ والجبنِ، وضلعِ الدّينِ وغلبةِ الرّجالِ**»[2].

قوله: «من الهمّ والحزن» قال الطّيبيُّ: الهمّ في المتوقّع، والحزن فيما فاتَ.

(١) فقه الأدعية والأذكار (٣/ ١٨٦١٨٨).

(٢) رواه البخاري (٢٨٩٣) -واللفظ له - ومسلم (٢٧٠٦).

و«العجز»: هوَ ضدّ القدرة.

و«الكسل»: هو التّثاقل عن الأمر المحمود.

و«البخل»: هوَ ترك أداء الواجبات الماليّة.

و«الجبن»: ضدّ الشّجاعة، وهوَ الخوف عند القتال[1].

قوله «وضلع الدّين»: أصل الضّلع: الاعوجاج، والمراد بهِ هنا ثقل الدّين وشدّته وذلكَ حيثُ لا يجد من عليهِ الدّين وفاءً ولا سيّما معَ المطالبة.

وقال بعض السّلف: ما دخلَ همّ الدّين قلباً إلّا أذهبَ من العقل ما لا يعود إليهِ.

قوله «وغلبة الرّجال»: أي قهرهم وشدّة تسلّطهم، فاستعاذَ من أن يغلبهُ الرّجال لما في ذلكَ من الوهن في النّفس والمعاش.

قال الكرمانيُّ: هذا الدّعاء من جوامع الكلم، لأنَّ أنواع الرّذائل ثلاثة: نفسانيّة وبدنيّة وخارجيّة، والدّعاء مشتمل على الاستعاذة من جميع ذلكَ.

ومحصّله أنَّ الهمّ لما يتصوّرهُ العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقعَ في الماضي، والعجز ضدّ الاقتدار، والكسل ضدّ النّشاط، والبخل ضدّ الكرم، والجبن ضدّ الشّجاعة[2].

* * *

(١) عون المعبود (٤/ ٢٨١-٢٨٠).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٧٤).

دعاء الكرب:

عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانَ النّبيُّ ﷺ يدعو عندَ الكربِ يقولُ: «**لا إلهَ إلّا الله العظيمُ الحليمُ، لا إلهَ إلّا الله ربُّ العرشِ العظيمِ، لا إلهَ إلّا الله ربُّ السّمواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمِ**»[1].

ومناسبة قوله: «**لا إلهَ إلّا الله العظيمُ**»: أنه لا يتعاظمه مسؤول وإن عظم، ومنه إزالة الكرب الذي لا يزيله غيره.

«**وربُّ العرشِ العظيمِ**»: فمن وسعت ربوبيته العرش الذي وسع المخلوقات كلها، جدير بأن يزيل الكروب ويرفع اللغوب[2].

وكرر ذكر العرش مرتين لأن العرش أعظم المخلوقات، وأعلى الموجودات، تنبيهاً على عظمة شأنه، وعلى عظم خالقه[3].

قال ابن بطال -رحمه الله-: «حدثني أبو بكر الرازي قال: كنت بأصبهان عند الشيخ أبى نعيم أكتب عنه الحديث، وكان هناك شيخ آخر يُعرف بأبي بكر بن علي، وكان عليه مدار الفتيا، فحسده بعض أهل البلد فبغّاه عند السلطان، فأمر بسَجنه، وكان ذلك في شهر رمضان، قال أبو بكر: فرأيت النبي ﷺ في المنام وجبريل

(١) رواه البخاري (٦٣٤٦) ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) الفتوحات الربانية (٤/ ٥).

(٣) العَلَم الهيب (٣٣٦).

عن يمينه يحرك شفتيه لا يفتر من التسبيح، فقال لي النبي ﷺ: قل لأبي بكر بن علي: يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه.

فأصبحت فأتيت إليه وأخبرته بالرؤيا، فدعا به فما بقي إلا قليلاً حتى أُخرج من السجن.

ففي هذه الرؤيا شهادة النبي ﷺ لكتاب البخاري بالصحة بحضرة جبريل ﷺ، والشيطان لا يتصور بصورة النبي في المنام»[1].

وفي الحديث فضل التوحيد وأثره العظيم في كشف الكرب وزوال الهم والغم، وكما قال تعالى عن نبيه يونس عليه السلام وهو في أعظم ساعات الكرب: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧- ٨٨].

عن سعدِ بن أبي وقّاص ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «دعوةُ ذي النّونِ إذ دعا وهوَ في بطنِ الحوتِ: لا إلهَ إلّا أنتَ سبحانكَ إنّي كنتُ من الظّالمينَ، فإنّهُ لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلّا استجابَ الله لهُ»[2].

---

(١) شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٠٩١١٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٥) وصححه الألباني.

وعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «دعواتُ المكروبِ: اللهمَّ رحمتكَ أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، وأصلح لي شأني كلّهُ، لا إلهَ إلّا أنتَ»[1].

قوله: «رَحمَتَكَ أرجُو»: قدم الرحمة على الطلب والرجاء، والتقديم يفيد القصر، أي لا أرجو سوى رحمتك.

«فَلا تَكِلنِي إِلَى نَفسِي» فضلاً عن غيرها.

فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة[2].

وقال المناوي: «ختمه بكلمة التوحيد إشارة إلى أن الدعاء إنما ينفع المكروب ويزيل كربه إذا كان مع حضور القلب، ومَن شهد لله بالتوحيد والجلال مع جمع الهمة وحضور البال فهو حَريّ بزوال الكرب في الدنيا والرحمة ورفع الدرجات في العقبى»[3].

ومناسبةُ الدعاء بكلمة التوحيد لإزالة الكرب: أن كلمة التوحيد تنير القلب، وتُشرِقُ الروحَ، وإذا استنار القلب زال عنه الكرب.

وقوله: «سُبحانَكَ» أي أُنَزِّهك عن أن يُعجزَك شيء[4].

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٠) وأحمد (٢٧٨٩٨).
(٢) الفتوحات الربانية (٤/ ٩).
(٣) فيض القدير (٣/ ٥٢٦).
(٤) الفتوحات الربانية (٤/ ١١).

ماذا يقول مَن أتاه أمرٌ يَسُرّه أو يكرهه؟

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا رأى ما يحبُّ قال: الحمدُ للهِ الّذي بنعمتِهِ تتمُّ الصّالحاتُ، وإذا رأى ما يكرهُ قال: الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ[1].

قال المُناوي -رحمه الله-: «أحوال المؤمن كلها خير، وقضاء الله بالسراء والضراء رحمة ونعمة، ولو انكشف له الغطاء لفرح بالضراء أكثر من فرحه بالسراء، وهو أعلم بما يصلح به عبده. ونبه بهذا الحديث على أن على العبد أن يحمد الله على السراء والضراء، وعلى أن للصابرين حمدا يخصّهم وهو الحمد لله على كل حال، وأن للشاكرين حمدا يخصهم وهو الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»[2].

***

مناسبة ذكر الله عند القتال:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

أمر الله عباده بذكره كثيرا عند مصابرة العدو والتلاحم بالرماح والسيوف، لأنها حالة يقع فيها الذهول في هذا الموطن

(١) رواه ابن ماجة (٣٨٠٣) وحسنه الألباني.

(٢) فيض القدير (١/ ٣٦٨).

العظيم، فأُمروا فيها بذكر الله تعالى الذي يُفزع إليه عند الشدائد، ففيه تنبيه للعبد ألا يشغله عن ذكر الله تعالى شيء، وأنه يلتجئ إليه عند الشدائد، واثقاً بأن لطفه لا ينفكّ عنه في حال من الأحوال[1].

وعن سهلِ بنِ سعدٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ثنتانِ لا تردّانِ -أو قلّما تردّانِ- : الدّعاءُ عندَ النّداءِ، وعندَ البأسِ حينَ يلحمُ بعضهم بعضاً**»[2].

❊ ❊ ❊

ذكر الله عند وسوسة الشيطان:

قال الله عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي: إنَّ شيطانَ الإنسِ ربّما ينخدعُ بالإحسانِ إليهِ، فأمّا شيطانُ الجنِّ فإنّهُ لا حيلةَ فيهِ إذا وسوسَ إلّا الاستعاذةَ بخالقهِ الّذي سلّطهُ عليكَ، فإذا استعذتَ باللهِ ولجأتَ إليهِ كفّهُ عنكَ وردَّ كيدهُ»[3].

وقد سمى الله عز وجل الشيطان بـ«الوسواس الخناس»؛ لأنّه إذا ذُكِرَ الله خَنَسَ، وَإِذا غُفِلَ عَن ذِكرِ اللهِ وَسوَسَ[4].

---

(١) الفتوحات الربانية (٥/ ٥١).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٤٠) وصححه الألباني.

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ١٦٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٩)، مجموع الفتاوى (٢/ ١٦).

وعَن سُهَيلِ بن أبي صالح قال: «أرسلني أبي إلى بني حارثةَ، ومعي غلامٌ لنا، فناداهُ منادٍ من حائطٍ باسمهِ، وأشرفَ الّذي معي على الحائطِ فلم يرَ شيئاً، فذكرتُ ذلكَ لأبي، فقال: لو شعرتُ أنّكَ تلقَ هذا لم أرسلكَ، ولكن إذا سمعتَ صوتاً فنادِ بالصّلاةِ؛ فإنّي سمعتُ أبا هريرةَ يحدّثُ عن رسولِ اللهِ أنّهُ قال: «إنَّ الشّيطانَ إذا نوديَ بالصّلاةِ ولّى ولهُ حصاصٌ»[1].

«الحُصاص» أَي ضُراط كَما فِي الرِّوايَة الأُخرَى. وَقِيلَ: «الحُصاص» شِدَّة العَدو.

فإن قيل: ما الحكمة من أن الشيطان يهرب من الأذان، ولا يهرب من قراءة القرآن، وهي أفضل من الأذان؟

قيل: إنّما أدبرَ الشّيطان عند الأذان لئلّا يسمعهُ؛ فيضطرّ للشهادة لهُ بها سمع إذا استشهد يوم القيامة؛ لقولِ النّبيّ ﷺ: **«لا يسمع صوت المؤذّن جنّ ولا إنس ولا شيء إلّا شهدَ لهُ يوم القيامة»**[2].

وقيلَ: إنّما يدبر لعظمِ أمر الأذان لما اشتملَ عليهِ من قواعد التّوحيد، وإظهار شعائر الإسلام.

وقيلَ: ليأسهِ من وسوسة الإنسان عند الإعلان بالتّوحيدِ[3].

(١) رواه مسلم (٣٨٩).

(٢) رواه البخاري (٦٠٩).

(٣) شرح النووي على مسلم (٤/ ٩٢).

وفي الحديث دليل على جواز الأذان في غير وقته لدفع الشيطان[1].

❊ ❊ ❊

تلقين المحتضر:

عن معاذِ بنِ جبلٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من كانَ آخرُ كلامِهِ: لا إلهَ إلّا الله دخلَ الجنّةَ»[2].

قال الكرماني -رحمه الله-: «قوله: «لا إله إلا الله» أي: هذه الكلمة، والمراد هي وضميمتها «محمد رسول الله)»[3].

وقال الحافظ -رحمه الله-: «المرادُ بقولِهِ «لا إلهَ إلّا الله» كلمتا الشّهادةِ، فلا يردُ إشكالُ تركِ ذكرِ الرّسالةِ. قال الزّينُ بنُ المنيرِ: قولُ لا إلهَ إلّا الله لقبٌ جرى على النّطقِ بالشّهادتينِ شرعاً»[4].

فيستحب تذكير المحتضر بهذه الكلمة لتكون آخر ما يتكلم به.

ومن لطيف ما يُروي في هذا الباب: ما رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث[5] عن أبي جعفرٍ محمّدِ بنِ عليٍّ السّاويِّ ورّاقِ أبي زرعةَ قال: «حضرتُ أبا زرعةَ بماشهرانِ وكانَ في السّوقِ -يعني في

(١) العلم الهيب (ص٣٥٦).
(٢) رواه أبو داود (٣١١٦) وصححه الألباني.
(٣) عون المعبود (٨/ ٢٦٧).
(٤) فتح الباري (٣/ ١١٠).
(٥) معرفة علوم الحديث (ص٧٦).

الموت- وعندهُ أبو حاتمٍ، ومحمّدُ بنُ مسلمِ بنِ وارةَ، والمنذرُ بنُ شاذانَ، وجماعةٌ منَ العلماءِ، فذكروا قولَ النّبيِّ ﷺ: «لقّنوا موتاكم لا إلهَ إلّا الله»، فاستحيوا من أبي زرعةَ، وقالوا: تعالوا نذكرُ الحديثَ، فقال أبو عبدِ اللهِ بنُ وارةَ: حدّثنا الضّحّاكُ بنُ مخلدٍ أبو عاصمٍ قال: ثنا عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ، عن صالحٍ.. ولم يجاوز، والباقونَ سكتوا، فقال أبو زرعةَ وهوَ في السّوقِ: ثنا بندارٌ، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ، عن صالحِ بنِ أبي عريبٍ، عن كثيرِ بنِ مرّةَ الحضرميِّ، عن معاذِ بنِ جبلٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من كانَ آخرُ كلامهِ لا إلهَ إلّا الله دخلَ الجنّةَ» وماتَ رحمهُ الله»[1].

❊ ❊ ❊

ذكرُ اللهِ عند الغضب:

عن سليمانَ بنِ صردٍ ﷺ قال: كنتُ جالساً معَ النّبيِّ ﷺ ورجلانِ يستبّانِ، فأحدهما احمرَّ وجههُ وانتفخت أوداجهُ[2]، فقال النّبيُّ ﷺ: «إنّي لأعلمُ كلمةً لو قالها ذهبَ عنهُ ما يجدُ، لو قال أعوذُ باللهِ من الشّيطانِ ذهبَ عنهُ ما يجدُ».

فقالوا لهُ: إنَّ النّبيَّ ﷺ قال: تعوّذ باللهِ من الشّيطانِ. فقال: وهل بي جنونٌ؟[3].

---

(١) وانظر: الجرح والتعديل (١/ ٣٤٦)، شعب الإيمان (٦/ ٥٤٦).

(٢) الأوداج: العروق المحيطة بالعنق.

(٣) متفق عليه.

فالغاضبُ يستعيذ من الشّيطان لأنَّ الغضب نوع من شرّ الشّيطان، ولهذا يخرج بهِ عن صورته ويزيّن إفساد مالهُ، كتقطيعِ ثوبه وكسر آنيته، أو الإقدام على من أغضبهُ، ونحو ذلكَ ممّا يتعاطاهُ من يخرج عن الاعتدال[1].

***

تشميت العاطس:

عن أبي هريرةَ ﷺ عن النّبيِّ ﷺ قال: «**إذا عطسَ أحدكم فليقل الحمدُ للهِ، وليقل لهُ أخوهُ أو صاحبهُ: يرحمكَ الله، فإذا قال لهُ يرحمكَ الله فليقل: يهديكمُ الله ويصلحُ بالكم**»[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «لمّا كانَ العاطسُ قد حصلت لهُ بالعطاسِ نعمةٌ ومنفعةٌ بخروجِ الأبخرةِ المحتقنةِ في دماغهِ الّتي لو بقيت فيهِ أحدثت لهُ أدواءً عسرةً، شرعَ لهُ حمدُ اللهِ على هذهِ النّعمةِ معَ بقاءِ أعضائهِ على التئامها وهيئتها بعدَ هذهِ الزّلزلةِ الّتي هيَ للبدنِ كزلزلةِ الأرضِ لها... فإنَّ العطاسَ يحدثُ في الأعضاءِ حركةً وانزعاجاً»[3].

وقال ابنُ هبيرةَ -رحمه الله-: «قال الرّازيّ[4]: العطاسُ لا يكونُ أوّلَ مرضٍ أبداً، إلّا أن تكونَ لهُ زكمةٌ.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٦٧).

(٢) رواه البخاري (٦٢٢٤).

(٣) زاد المعاد (٢/ ٤٠٠).

(٤) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي، أحد الأطباء المشهورين.

قال ابن هبيرةَ: فإذا عطسَ الإنسانُ استدلَّ بذلكَ من نفسهِ على صحّةِ بدنهِ وجودةِ هضمهِ واستقامةِ قوّتهِ؛ فينبغي لهُ أن يحمدَ اللهَ»[1].

***

الذكر عند صياح الديك ونهيق الحمار:

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «إذا سمعتم صياحَ الدّيكةِ فاسألوا اللهَ من فضلهِ فإنّها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيقَ الحمارِ فتعوّذوا باللهِ من الشّيطانِ فإنّهُ رأى شيطاناً»[2].

قوله: «إذا سمعتم صياحَ الدّيكةِ فاسألوا اللهَ من فضلهِ» قال القاضي عياض: «كانَ السّبب فيهِ رجاء تأمين الملائكة على دعائهِ واستغفارهم لهُ وشهادتهم لهُ بالإخلاصِ».

وأخرجَ أبو داودَ (٥١٠١) وأحمد (٢١١٧١) من حديث زيد بن خالد رفعهُ «لا تسبّوا الدّيك فإنّهُ يدعو إلى الصّلاة»[3].

قال الحليميُّ: «يؤخذ منهُ أنَّ كلّ من استفيدَ منهُ الخير لا ينبغي أن يسبّ ولا أن يستهان بهِ، بل يكرم ويحسن إليهِ».

قال: «وليسَ معنى قوله: «فإنّهُ يدعو إلى الصّلاة» أن يقول

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٣٣٤).

(٢) رواه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩) وأبو داود (٥١٠٢) والترمذي (٣٤٥٩) والنسائي في الكبرى (١٠٧٨٠).

(٣) صححه الألباني في صحيح أبي داود وغيره.

بصوتِهِ حقيقة صلّوا أو حانت الصّلاة، بل معناهُ أنَّ العادة جرت بأنّهُ يصرخ عند طلوع الفجر وعند الزّوال فطرةً فطرهُ الله عليها».

قولهُ: «وإذا سمعتم نهاق الحمير فتعوّذوا باللهِ من الشّيطانِ».

قال عياض: «وفائدة الأمر بالتّعوّذِ لما يخشى من شرّ الشّيطان وشرّ وسوسته، فيلجأ إلى الله في دفع ذلكَ»[1].

فائدة: هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى كلهم عن شيخ واحد وهو قتيبة بن سعيد.

وروى أبو يعلى (٢٣٢٧) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم نباح الكلب بالليل أو نهيق الحمير فتعوذوا بالله؛ فإنهم يرون ما لا ترون»[2].

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: «يستعاذ بالله عند سماع صوت الحمار بالليل، لأنه يرى الشيطان»[3].

وقال أبو الحسن المباركفوري -رحمه الله-: «قيل: أطلق الأمر بالتعوذ عند نهيق الحمير في حديث الباب فاقتضى أنه لا فرق في طلبه بين الليل والنهار، وخصّه في رواية أخرى بالليل. فإما أن يحمل المطلق على المقيد، أو يقال: خص الليل لأن انتشار

(١) فتح الباري (٦/ ٣٥٣).
(٢) صححه الألباني في الصحيحة (٣١٨٤).
(٣) فتح الباري - لابن رجب (٤/ ١٣٥).

الشياطين فيه أكثر، فيكون نهيق الحمير فيه أكثر، فلو وقع نهاراً كان ذلك.

وقال الشوكاني: «في قوله في الحديث الآخر «من الليل»: يقيد المطلق؛ فتكون الاستعاذة إذا سمع النهيق والنباح ليلاً لا نهاراً»[1].

* * *

دعاء من رأى مبتلى:

عن عمرَ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «من رأى صاحبَ بلاءٍ فقال: الحمدُ للهِ الّذي عافاني ممّا ابتلاكَ بهِ وفضّلني على كثيرٍ ممّن خلقَ تفضيلاً، إلّا عوفيَ من ذلكَ البلاءِ»[2].

قوله: «من رأى صاحبَ بلاءٍ» أي مبتلًى في أمرٍ بدنيٍّ كبرصٍ وقصرٍ فاحشٍ أو طولٍ مفرطٍ أو عمًى أو عرجٍ أو اعوجاجِ يدٍ ونحوها، أو دينيٍّ بنحوِ فسقٍ وظلمٍ وبدعةٍ وكفرٍ وغيرها.

«الحمدُ للهِ الّذي عافاني ممّا ابتلاك بِه»؛ فإنَّ العافيةَ أوسعُ من البليّةِ؛ لأنّها مظنّةُ الجزعِ والفتنةِ، وحينئذٍ تكونُ محنةً أيَّ محنةٍ، والمؤمنُ القويُّ أحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضّعيفِ.

«وفضّلني على كثيرٍ ممّن خلقَ تفضيلاً» أي في الدّينِ والدّنيا والقلبِ والقالبِ.

---

(١) مرعاة المفاتيح (٨/ ١٦٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٣١) وحسنه الألباني.

«إلّا عـوفيَ من ذلكَ البـلاءِ» أي لم يرَ أحدٌ صاحـبَ بلاءٍ فقال هذا الدعاء إلّا عوفيَ من ذلكَ البلاءِ[1].

قـال الترمـذي عقبه: «وقـد رويَ عن أبي جعفرٍ محمّـدِ بنِ عليٍّ أنّهُ قال: إذا رأى صاحبَ بلاءٍ فتعوّذَ منهُ يقولُ ذلكَ في نفسـهِ ولا يسمعُ صاحبَ البلاءِ».

قال النووي: «ينبغي أن يقول هذا الذكرَ سرّاً بحيثُ يسـمعُ نفسـه ولا يسـمعه المبتلى؛ لئلا يتـألّمَ قلبه بذلـك، إلا أن تكون بليّتـه معصيـةً فـلا بأس أن يسـمعه ذلـك إن لم يخـف من ذلك مفسدة»[2].

* * *

ذكر الله على الطعام:

عن عائشـةَ ﷺ قالت: كانَ رسـولُ اللهِ ﷺ يأكلُ طعاماً في ستّةِ نفرٍ من أصحابهِ، فجاءَ أعرابيٌّ فأكلهُ بلقمتينِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أمـا إنّهُ لو كانَ قال: بسـمِ اللهِ، لكفاكم، فـإذا أكلَ أحدكم طعاماً فليقل: بسمِ اللهِ، فإن نسيَ أن يقولَ بسمِ اللهِ في أوّلهِ فليقل: بسمِ اللهِ في أوّلهِ وآخرهِ»**[3].

قـال المباركفوري -رحمه الله-: «قولهُ: «فإن نسيَ في أوّلهِ» أي

(١) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٧٥).

(٢) الأذكار (ص٣٠٣).

(٣) رواه الترمذي (١٨٥٨) وصححه، وابن ماجة (٣٢٦٤) وصححه الألباني.

فإن نسيَ حينَ الشّروعِ في الأكلِ ثمَّ تذكّرَ في أثنائهِ أنّهُ تركَ التّسميةَ أوّلاً «فليقل بسمِ اللهِ في أوّلهِ وآخرهِ» والمعنى: في جميعِ أجزائهِ، كما يشهدُ لهُ المعنى الّذي قصدَ بهِ التّسميةَ، فلا يقالُ ذكرهما يخرجُ الوسطَ، فهوَ كقولهِ تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ معَ قولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾.

ويمكنُ أن يقال: المرادُ بأوّلهِ النّصفُ الأوّلُ وبآخرهِ النّصفُ الثّاني فيحصلُ الاستيفاءُ والاستيعابُ.

وفي الحديثِ دليلٌ على مشروعيّةِ التّسميةِ للأكلِ وأنَّ النّاسيَ يقولُ في أثنائهِ: بسمِ اللهِ في أوّلهِ وآخرهِ، وكذا التّاركُ للتّسميةِ عمداً يشرعُ لهُ التّداركُ في أثنائهِ.

قال في الهدي: والصّحيحُ وجوبُ التّسميةِ عندَ الأكلِ وهوَ أحدُ الوجهينِ لأصحابِ أحمدَ، وأحاديثُ الأمرِ بها صحيحةٌ صريحةٌ لا معارضَ لها ولا إجماعَ يسوّغُ مخالفتها ويخرجُ عن ظاهرها»[1].

* * *

دعاء كفارة المجلس:

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من جلسَ في مجلسٍ فكثرَ فيهِ لغطهُ فقال قبلَ أن يقومَ من مجلسهِ ذلكَ: سبحانكَ

(١) تحفة الأحوذي (٥/ ٤٨٣٤٨٤).

اللهمَّ وبحمدكَ أشهدُ أن لا إلهَ إلّا أنتَ أستغفركَ وأتوبُ إليكَ، إلّا غفرَ لهُ ما كانَ في مجلسهِ ذلكَ»[1].

وروى النسائي في الكبرى (١٠٠٦٧) عن عائشة ﵂ قالت: ما جلسَ رسولُ اللهِ ﷺ مجلساً قطُّ، ولا تلا قرآناً، ولا صلّى صلاةً إلّا ختمَ ذلكَ بكلماتٍ، قالت: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أراكَ ما تجلسُ مجلساً، ولا تتلو قرآناً، ولا تصلّي صلاةً إلّا ختمتَ بهؤلاءِ الكلماتِ؟ قال: «نعم، من قال خيراً ختمَ لهُ طابعٌ على ذلكَ الخيرِ، ومن قال شرّاً كنَّ لهُ كفّارةً: سبحانكَ وبحمدكَ، لا إلهَ إلّا أنتَ، أستغفركَ وأتوبُ إليكَ».

ورواه في الصغرى (١٣٤٤) ولفظه: عن عائشةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا جلسَ مجلساً أو صلّى تكلّمَ بكلماتٍ، فسألتهُ عائشةُ عن الكلماتِ فقال: «إن تكلّمَ بخيرٍ كانَ طابعاً عليهنَّ إلى يومِ القيامةِ، وإن تكلّمَ بغيرِ ذلكَ كانَ كفّارةً لهُ: سبحانكَ اللهمَّ وبحمدكَ أستغفركَ وأتوبُ إليكَ». ورواه أحمد (٢٣٩٦٥) ولفظه: «سبحانكَ وبحمدكَ لا إلهَ إلّا أنتَ أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ»[2].

فكثر فيه لغطه: قال في النهاية: اللغط صوت وضجة لا يُفهم معناها[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٣) وصححه، وصححه الألباني.

(٢) صححه الألباني في صحيح النسائي وغيره.

(٣) النهاية (٤/ ٥١٧).

والمراد ما يشابه الهذيان مما لا طائل تحته، وأشد منه ما يقع في المجلس من غيبة ونميمة.

سبحانك اللهم وبحمدك: أي أسبحك وأحمدك، أو أسبح حامداً لك[1].

تنبيه مهم:

قال ابن حجر: «ينبغي أن لا يُذكر هذا الذكر والذي فيه «أستغفرك وأتوب إليك» إلا بعد أن تُوجَد منه توبةٌ صحيحة مما هو فيه من المعاصي، أما المقيم على المعصية القائل بذلك فهو كاذب بين يدي الله تعالى، فربما يُخشى عليه من المقت، فليُتَنبَّه له؛ فإنه كثيراً ما يُغفل عنه»[2].

***

الدعاء لمن صنع معروفاً:

عن أسامةَ بنِ زيدٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من صنعَ إليهِ معروفٌ فقال لفاعلِهِ: جزاكَ الله خيراً فقد أبلغَ في الثّناءِ»[3].

قوله: «فقال لفاعلِهِ» أي بعد عجزه عن إثابته، وقيل بل مطلقاً.

(١) الفتوحات الربانية (٧/ ١٦٩).

(٢) الفتوحات الربانية (٧/ ١٦٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٣٥) وحسنه، وصححه الألباني.

«جـزاكَ الله خيراً» أي خيرَ الجـزاءِ، أو أعطاك خيراً من خيري الدّنيا والآخرةِ.

«فقد أبلغَ في الثّناءِ» أي بالغَ في أداءِ شـكرِهِ؛ وذلكَ أنّهُ اعترفَ بالتّقصـيرِ وأنّهُ ممّن عجزَ عـن جزائهِ وثنائهِ ففـوّضَ جزاءهُ إلى اللهِ ليجزيهُ الجزاءَ الأوفى.

قـال بعضهـم: إذا قـصرت يـداك بالمكافـأةِ، فليطل لسـانك بالشّكرِ والدّعاءِ[1].

قال الترمذي عقب هذا الحديث:

حدّثني عبدُ الرّحيمِ بنُ حازمٍ البلخيُّ قال: سمعتُ المكّيَّ بنَ إبراهيمَ يقولُ: كنّا عندَ ابنِ جريجِ المكّيِّ فجاءَ سـائلٌ فسألهُ فقال ابنُ جريجٍ لخازنهِ: أعطِهِ ديناراً فقال: ما عندي إلّا دينارٌ إن أعطيتهُ لجعتَ وعيالـكَ. قال: فغضبَ وقال: أعطِهِ. قـال المكّيُّ: فنحنُ عندَ ابـنِ جريجٍ إذ جاءهُ رجلٌ بكتابٍ وصرّةٍ وقد بعثَ إليهِ بعضُ إخوانـهِ وفي الكتابِ: إنّي قد بعثتُ خمسـينَ دينـاراً. قال: فحلَّ ابنُ جريجٍ الصّرّةَ فعدّها فإذا هيَ أحدٌ وخمسونَ ديناراً. قال: فقال ابنُ جريـجٍ لخازنهِ: قـد أعطيتَ واحداً فردّهُ الله عليكَ وزادكَ خمسـينَ ديناراً.

❊ ❊ ❊

(١) تحفة الأحوذي (٦/ ١٥٦).

ذِكرُ النكاح والتهنئة به والدخول بالزوجة:

التهنئة بالنكاح:

الذي ورد في السنة أن تهنئة الزوجين بالنكاح تكون بالدعاء لهما بالبركة؛ فعن أبي هريرةَ ﷺ أنَّ النّبيَّ ﷺ كانَ إذا رفّأَ الإنسانَ[1] إذا تزوّجَ قال: «**بارِكَ اللهُ لكَ وبارَكَ عليكَ وجمعَ بينكما في الخيرِ**»[2].

وعن الحسنِ البصريِّ قال: تزوّجَ عقيلُ بنُ أبي طالبٍ امرأةً من بني جشمٍ فقيلَ لهُ: بالرّفاءِ والبنينَ. قال: قولوا كما قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**باركَ الله فيكم وباركَ لكم**»[3].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «كانت الجاهليّة يقولونَ في تهنئتهم بالنّكاحِ: بالرفاء والبنين. والرفاء الالتحام والاتفاق، أي تزوجت زواجا يحصل بهِ الاتّفاق والالتحام بينكما والبنون، فيهنئون بالبنين سلفا وتعجيلا، ولا ينبغي للرجل أن يهنئ بالابن ولا يهنئ بالبنت، بل يهنئ بهما، أو يترك التهنئة ليتخلص من سنة الجاهليّة؛ فإن كثيراً منهم كانوا يهنئون بالابن وبوفاة البنت دون ولادتها.

وقال أبو بكر بن المنذر في الأوسط: روينا عن الحسن البصريّ أن رجلا جاءَ إليهِ وعنده رجل قد ولد لهُ غلام فقال لهُ: يهنك الفارس. فقال لهُ الحسن: ما يدريك فارس هوَ أو حمار!

---

(١) يعني هنأه ودعا له.

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٠) والترمذي (١٠٩١) وصححه، وصححه الألباني.

(٣) رواه النسائي (٣٣٧١) وصححه الألباني.

قال: فكيف نقول؟ قال: قل: بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب وبلغ رشده ورزقت برّه»[1].

عند الدخول بالزوجة:

إذا دخل الزوج على زوجته ليلة الزفاف، يسنُّ له أن يقول ما ورد في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا تزوّجَ أحدكم امرأةً أو اشترى خادماً فليقل: **اللهمَّ إنّي أسألكَ خيرها وخيرَ ما جبلتها عليهِ وأعوذُ بكَ من شرّها ومن شرِّ ما جبلتها عليهِ. ثمَّ ليأخذ بناصيتها وليدعُ بالبركةِ**»[2].

قوله: «اللهمَّ إنّي أسألكَ خيرها»: أي خير هذه المرأة كحسن المعاشرة وحفظ الفراش والأمانة في المال ورعاية حق الزوج، ونحو ذلك.

«وخيرَ ما جبلتها عليهِ»: أي خير ما خلقتها عليه من الأخلاق الحسنة والطّباع المرضية والسّجايا الكريمة.

«وأعوذُ بكَ من شرّها ومن شرِّ ما جبلتها عليهِ»: فيه التعوذ بالله والالتجاء إليه، بأن يَقِيَه ويُسَلّمه مما فيها من شر في خلقها وتعاملها ومعاشرتها وسجاياها.

وهذا فيه دلالة على أن صلاح أمر الزوجين والتئام شملهما لا

---

(١) تحفة المودود (ص٢٩).

(٢) رواه أبو داود (٢١٦٠) وصححه الألباني.

يتحقق إلا بالالتجاء إلى الله، والاعتماد عليه، وسؤاله وحده العون والتوفيق والصلاح.

الذكر عند إتيان الأهل (الجماع):

عن ابنِ عبّاسٍ ﷺ قال: قال النّبيُّ ﷺ: «**لو أنَّ أحدهم إذا أرادَ أن يأتيَ أهلهُ قال: باسـمِ اللهِ اللهمَّ جنّبنا الشّيطانَ وجنّب الشّيطانَ ما رزقتنا، فإنّهُ إن يقدّر بينهما ولدٌ في ذلكَ لم يضرّهُ شيطانٌ أبداً**»[1].

والحكمة في ذلك أن الشيطان له مشاركة في الأموال والأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

فإذا دعا المسلم بهذه الدعوة سَلِم من هذه المشاركة ووُقي من شره.

«لا يضرّهُ»: قال النووي: «قال القاضي: قيلَ المراد بأنّهُ لا يضرّهُ أنّهُ لا يصرعهُ شيطان، وقيلَ لا يطعن فيهِ الشّيطان عند ولادته بخلافِ غيره. قال: ولم يحملهُ أحد على العموم في جميع الضّرر والوسوسة والإغواء، هذا كلام القاضي»[2].

وقيل: لم يَتسلط عليه بحيث يمنعه العمل الصالح.

وقال ابن الجزري: لم يُسلَّط عليه في دينه، ولم تظهر مضَرَّتُه في حقه بنسبة غيره[3].

(١) متفق عليه.
(٢) شرح النووي على مسلم (١٠/ ٥).
(٣) الفتوحات الربانية (٧/ ٨٦).

الذكر عند دخول السوق:

عن سالمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ عن أبيهِ عن جدّهِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «من قال في السّوقِ: لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ يحيي ويميتُ وهوَ حيٌّ لا يموتُ بيدِهِ الخيرُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، كتبَ الله لهُ ألفَ ألفِ حسنةٍ ومحا عنهُ ألفَ ألفِ سيّئةٍ»[1].

قال الطّيبيُّ: «خصّهُ بالذّكرِ لأنّهُ مكانُ الغفلةِ عن ذكرِ اللهِ والاشتغالِ بالتّجارةِ، فهوَ موضعُ سلطنةِ الشّيطانِ ومجمعُ جنودِهِ، فالذّاكرُ هناكَ يحاربُ الشّيطانَ ويهزمُ جنودهُ، فهوَ خليقٌ بما ذكرَ من الثّوابِ»[2].

والسوق من أماكن اللهو والغفلة؛ لذلك استحب ذكر الله فيه.

وعن أسامة بن زيدٍ قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ لم أركَ تصومُ شهراً من الشّهورِ ما تصومُ من شعبانَ؟ قال: «ذلكَ شهرٌ يغفلُ النّاسُ عنهُ بينَ رجبٍ ورمضانَ، وهوَ شهرٌ ترفعُ فيهِ الأعمالُ إلى ربِّ العالمينَ؛ فأحبُّ أن يرفعَ عملي وأنا صائمٌ»[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٩) وحسنه الألباني، وضعفه غيره، والراجح ضعفه، والله أعلم.

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٧٢).

(٣) رواه النسائي (٢٣٥٧) وحسنه الألباني.

ففيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة وأن ذلك محبوب لله عز وجل؛ كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة ويقولون: هي ساعة غفلة. ولذلك فُضّل القيامُ في وسط الليل وآخره لشمول لغفلة لأكثر الناس فيه عن الذكر.

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: «كُلُّ وقت يغفل الناس عنه يكون فاضلا لقلة القائمين بالخدمة، وكما بين العشاءين، ونصف الليل وأشباه ذلك»[1].

***

الدعاء على العدو:

عن عبدُ اللهِ بنُ أبي أوفى قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ في بعضِ أيّامِهِ الّتي لقيَ فيها العدوَّ انتظرَ حتّى مالت الشّمسُ ثمَّ قامَ في النّاسِ فقال: «**اللهمَّ منزلَ الكتابِ ومجريَ السّحابِ وهازمَ الأحزابِ اهزمهم وانصرنا عليهم**»[2].

فأشارَ بهذا الدّعاء إلى وجوه النّصر عليهم:

فبالكتابِ أشار إلى قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾.

(١) كشف المشكل (٤/ ٣٥٣).

(٢) متفق عليه.

وبـ«مجريَ السّحاب» إلى القدرة الظّاهرة في تسخير السّحاب حيثُ يحرّكُ الرّيحُ بمشيئةِ اللهِ تعالى، وحيثُ يستمرُّ في مكانهِ معَ هبوبِ الرّيحِ، وحيثُ تمطرُ تارةً وأخرى لا تمطرُ، فأشارَ بحركتهِ إلى إعانة المجاهدينَ في حركتهم في القتال. وبوقوفهِ إلى إمساك أيدي الكفّار عنهم.

وبإنزالِ المطر إلى غنيمة ما معهم حيثُ يتّفق قتلهم، وبعدمهِ إلى هزيمتهم حيثُ لا يحصل الظّفر بشيء منهم، وكلّها أحوال صالحة للمسلمينَ.

وأشارَ بـ«هازمِ الأحزاب» إلى النّعمةِ السّابقة، وإلى تجريد التّوكّل، واعتقاد أنَّ الله هوَ المنفرد بالفعلِ.

وفيهِ التّنبيه على عظم هذهِ النّعم الثّلاث؛ فإنَّ بإنزالِ الكتاب حصلت النّعمة الأخرويّة وهيَ الإسلام، وبإجراءِ السّحاب حصلت النّعمة الدّنيويّة وهيَ الرّزق، وبهزيمةِ الأحزاب حصلَ حفظ النّعمتينِ، وكأنّهُ قال: اللهمَّ كما أنعمت بعظيمِ النّعمتينِ الأخرويّة والدّنيويّة وحفظتها فأبقهما[1].

* * *

الذكر عند التعزية:

عن أسامةَ بنُ زيدٍ رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنةُ النّبيِّ ﷺ إليهِ: إنَّ ابناً

(١) فتح الباري (٦/ ١٥٧).

لي قبضَ فأتنا، فأرسلَ يقرئُ السّلامَ ويقولُ: «إنَّ للهِ ما أخذَ ولهُ ما أعطى وكلٌّ عندهُ بأجلٍ مسمًّى فلتصبر ولتحتسب»[١].

فقدّم ذِكرَ الأخذ على الإعطاء مع أنه متأخر عنه في الواقع، وذلك لما يقتضيه المقام، والمعنى: أن الله إذا أراد أن يأخذه فهو الذي أعطاه، فإن أخذه أخذ ماله، فلا ينبغي الجزع إذا استُعِيدَ منه.

«فَلتَصبِر وَلتَحتَسِب» لأن غمّ الجزع حينئذ لا فائدة له، بل هو سبب لفقد الثواب وعظم المصاب[٢].

قال النووي -رحمه الله-: «وأما لفظةُ التعزية، فلا حجرَ فيه، فبأيّ لفظ عزّاه حصلت»[٣].

وروى البيهقي عن الإمام الشافعي أنه بلغه أن عبد الرحمن بن مهدي مات له ابن فجَزِعَ عليه جزعاً شديداً، فبعثَ إليه الشافعي:

يا أخي عزِّ نفسك بما تَعَزَّى به غيرُك، واستقبح من فعلك ما تستقبحُه من فعل غيرك. واعلم أن أمضَّ المصائب فقدُ سرورٍ وحرمانُ أجر، فكيف إذا اجتمعا مع اكتِساب وزر؟

فتناول حظَّكَ يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبَه وقد نأى عنك، ألهمك الله عند المصائب صبراً، وأحرزَ لنا ولك بالصبر أجراً، وكتب إليه:

---

(١) متفق عليه.

(٢) الفتوحات الربانية (٤/ ١٤٤).

(٣) الأذكار (ص١٥٠).

إنّي معزّيكَ لا أني على ثقةٍ

منَ الخلودِ ولكن سنّةُ الدّينِ

فما المعزّى بباقٍ بعدَ ميّتهِ

ولا المعزّي ولو عاشا إلى حينِ(١)

وكتبَ رجلٌ إلى بعض إخوانه يعزّيه بابنه: «أما بعد، فإنَّ الولدَ على والده ما عاش حُزنٌ وفتنة، فإذا قدّمه فصلاة ورحمة، فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفِتنته، ولا تضيّع ما عوّضك الله عزّ وجلّ من صلاته ورحمته».

وعن ابن جُرَيجٍ قال: «من لم يتعزّ عند مصيبته بالأجر والاحتساب، سَلاَ كما تَسلُو البهائم».

وإن قال في التعزية: «أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك» فحسن(٢).

* * *

الدعاء للمريض في عيادته:

عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانَ النّبيُّ ﷺ إذا دخلَ على مريضٍ يعودهُ قال: «لا بأسَ، طهورٌ إن شاءَ الله»(٣).

(١) مناقب الشافعي (٢/ ٩٠٩١).
(٢) انظر: الأذكار للنووي (ص١٥٠-١٥٢).
(٣) رواه البخاري (٣٦١٦).

قوله: «لا بأسَ»: أي لا شدة عليك ولا أذى.

قال الحافظ: «أي أنَّ المرضَ يكفِّرُ الخطايا، فإن حصلتِ العافيةُ فقد حصلتِ الفائدتانِ، وإلّا حصلَ ربحُ التّكفيرِ»[1].

قوله: (طهورٌ): أي هذا طهور لك من ذنوبك؛ أي: مَطهرة.

وقال ابن بطال -رحمه الله-: «قوله للأعرابي: «لا بأس طهور إن شاء الله» إنما أراد تأنيسه من مرضه بأن الله يكفّر ذنوبه، ويُقيله، ويؤخر وفاته، فوقع الاستثناء على ما رجا له من الإقالة والفرج؛ لأن المرض معلوم أنه كفارة للذنوب»[2].

وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «(لا بأس): يعني لا شدة عليك ولا أذى، (طهور) يعني هذا طهور إن شاء الله. وإنما قال النبي ﷺ: «إن شاء الله»؛ لأن هذه جملة خبرية وليست جملة دعائية؛ لأن الدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به ولا يقل: إن شئت»[3].

❊ ❊ ❊

دعاء زيارة القبور:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ جبريلَ أتاني، فقال: إنَّ ربّكَ يأمركَ أن تأتيَ أهلَ البقيعِ فتستغفرَ لهم، قالت: قلتُ: كيفَ أقولُ لهم يا رسولَ اللهِ؟ قال: قولي: السّلامُ على أهلِ الدّيارِ من

(١) فتح الباري (١٠/ ١١٩).
(٢) شرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٨٤).
(٣) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٨٤).

المؤمنينَ والمسلمينَ، ويرحمُ الله المستقدمينَ منّا والمستأخرينَ، وإنّا إن شاءَ الله بكم للاحقونَ، نسألُ اللهَ لنا ولكم العافيةَ»[1].

* * *

أحوال الناس في زيارة القبور:

لا تخرج أحوال الناس في زيارة القبور عن أربع حالات:

الأولى: أن يزور القبور ليدعو للأموات، فيسأل الله لهم المغفرة والرحمة، وليعتبر بحال الموتى وما آلو إليه، فَيُحدِثَ له ذلك عبرةً وذكرى، وهذه هي الزيارة الشرعية.

الثانية: أن يزورها ليدعو لنفسه ولمن أحب عندها معتقداً أن الدعاء في المقابر أو عند قبور الصالحين أفضلُ وأحرى بالقبول والإجابة، وهذه بدعة منكرة.

الثالثة: أن يزورها ليدعو الله متوسلا بجاه الموتى أو حقِّهم، فيقول: أسألك يا ربي بجاه فلان أو بحق فلا، فهذه بدعة محرمة ووسيلة إلى الشرك.

الرابعة: أن يزورها ليدعو المقبورين ويستغيث بهم ويطلب منهم المددَ والعون والشفاء وغير ذلك، فهذا شرك أكبر ناقل عن ملة الإسلام[2].

---

(١) رواه مسلم (٩٧٤).

(٢) فقه الأدعية والأذكار (٣/ ٢٣٨).

هذا ما تيسر جمعه على سبيل الاختصار في معاني الأذكار، أردنا بـه التنويـه والتذكير، مع ذكـر الفائدة التي تعين عـلى ذلك؛ حتى يتسـنى للذاكر أن يسـتحضر بعض تلك المعاني الشرعية؛ فيكون ممن يذكر اللهَ بلسانه وقلبه.

جعلنا الله وإخواننا المسلمين ممن يذكرون الله ذكراً كثيراً، ويسبّحونه بكرة وأصيلاً؛ إنه سميع مجيب.



من مؤلفات الشيخ

محمد صالح المنجد

نشر



توزيع

العبيكان
Obeikan

١. كيف عاملهم ﷺ.
٢. ٧٠ مسألة في الصيام.
٣. شرح الأربعين النووية.
٤. أربعون نصيحة لإصلاح البيوت.
٥. زاد الصائم.
٦. رمضان فرصة للتربية والتعليم.
٧. الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس.
٨. كيف تقرأ كتاباً.
٩. أريد أن أتوب ولكن...
١٠. التنبيهات الجلية.
١١. ٣٣ سبباً للخشوع في الصلاة.
١٢. شكاوى وحلول.
١٣. ظاهرة ضعف الإيمان.
١٤. محرمات استهان بها كثير من الناس.
١٥. وسائل الثبات على دين الله.
١٦. كونوا على الخير أعواناً.
١٧. أدرك أهلك قبل أن يحترقوا.
١٨. حمى الألعاب الإلكترونية.
١٩. المسابقات الشرعية.
٢٠. العيد آداب وأحكام.
٢١. المتقلبون.
٢٢. اترك أثراً قبل الرحيل.
٢٣. المجمعات التجارية.
٢٤. صراع مع الشهوات.
٢٥. الأمة المالية.
٢٦. زاد الحج.
٢٧. بدعة إعادة فهم النص.
٢٨. مشروعك الذي يلائمك.
٢٩. نظرات في القصص والروايات.
٣٠. الفقه والاعتبار في فاجعة السيل الجرار.
٣١. أخطار تهدد البيوت.
٣٢. فتيان الإيمان.
٣٣. الدليل إلى مراجع الموضوعات الإسلامية.

٣٤. سلسلة نسائم الشام:

- طوبى للشام
- سنن الله في خلقه

٣٥. سلسلة أعمال القلوب:

- الإخلاص.
- التوكل.
- الخوف.
- الرجاء.
- التقوى.
- المحاسبة.
- التفكر.
- المحبة.
- الشكر.
- الرضا.
- الورع.
- الصبر.

٣٦. سلسلة أمراض القلوب:

- الشهوة.
- الترف.
- العشق.
- الغفلة.
- الجدال والمراء.
- الكبر.
- النفاق.
- حب الرياسة.
- حب الدنيا.
- اتباع الهوى.



زاد الصائم

